وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

[illegible]

[illegible]

جامعة مولود معمري - تيزي- وزو

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI – OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Langue et littérature Arabes

رقم الترتيب.....

الرقم التسلسلي.....

مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي.
الفرع: لغة وأدب عربي.
التخصص: تحليل الخطاب.

العنوان

المظاهر الحجاجية في كتاب طوق الحمامة في الألفة والأُلاف

لابن حزم الأندلسي

إعداد :

لعلاونة محمد الأمين.

معمري هشام

إشراف:

عمي ليندة.

لجنة المناقشة:

أ. د/ حمو الحاج ذهبية	أستاذة التعليم العالي	جامعة مولود معمري تيزي وزو	رئيسًا
أ/ عمي ليندة	أستاذة مساعدة صنف "أ	جامعة مولود معمري تيزي وزو	مشرفًا ومقررًا
أ/ عزيز نعمـان	أستاذ مساعد صنف "أ	جامعة مولود معمري تيزي وزو	عضوا ممتحنا

الدفعة الشهر الثالثة جوان 2016

مقدمـــــة

يعتبر الخطاب الأدبي مزيجا بين اللغة في المقام الأول ، والحجة قصد التبليغ والإقناع في المقام الثاني ،لكن هذا لا يعني بالضرورة أنَّ كل خطاب معين موجه لمتلقي محدد يتوفر على آليات الإقناع والحجاج ،بل هناك نصوص بعينها يَستعمل فيها المُرسِل آليات تَدلِيلِيَة لإيصال رسالته قصد التأثير في السامع أو المتلقي ،وإفهامه المقاصدَ المُرادِ إيصالها .ومن هنا جاء اختيارنا لمدونة تراثية تمثلت في رسالة "**ابن حزم الأندلسي**" الموسومة بـ" **طوق الحمامة في الأُلفةِ والأُلاف** " لمَا توافرت عليه من مادة أدبية غزيرة سواءً من الجانب الشعري أم من الجانب النثري ،تسمح للدارس بتنويع التطبيق والبحث أكثر عن الطرائق التي اعتمدها ابن حزم في إيصال رسالته والسبل التي توخاها حتى يحمل المتلقي على الإذعان والتسليم ،مازجا في ذلك بين دقة الأسلوب ومتانة الحجة.

ولأن الكاتب معروف بمنهجه العقلي وبطبعه الحِجاجي ، مع دقة أسلوبه وغزارة فكره ، جاءت دراستنا هذه لتحاول تطبيق مبحث من مباحث التداولية ممثلا في الحجاج – باعتباره من الآليات الحديثة – على رسالة تراثية من العصر الأندلسي ،مازجين في ذلك بين الأصالة والمعاصرة ، آصالة متجلية في رسالة " **طوق الحمامة** " وما تحويه من لغة راقية ،وأسلوب فخم يجذب المتلقي ويغريه ليكشف أغواره ويفك مغاليقه ، ومعاصرة مجسدة في الآليات الحجاجية التي جاء بها " **بيرلمان** Chaïm Perlma " في بلاغته الجديدة ، ومن بعدِه "**ديكرو** Oswald Ducrot " و" **انسكومبر** Anscombre " في درسهما اللغوي التداولي .

إن الذي دفعنا إلى البحث في هذا المجال " **الحجاج في رسالة طوق الحمامة**" تلك العلاقة التي تجمع بين " **ابن حزم الأندلسي** " باعتباره من أنصار المذهب العقلي وكتاباته ،التي تتخذ من أساليب الحجاج وآلياته طريقا لإقناع المتلقي والتأثير فيه سواء من الجانب العقلي أم من الجانب السلوكي. كما كان للسياق الذي وُجِد فيه الكاتب واسع الأثر في تحديد موضوع بحثنا ؛ذلك أن " **ابن حزم** " وُجد في عصر شاعت فيه أساليب الحِجَاج والجِدال ، كما عرفت " **العلوم الكلامية** " قفزة نوعية نتيجة للترجمات الكثيرة التي مَسَتْ أعمال جل الفلاسفة اليونانين على غرار " **أرسطو**

" و" **أفلاطون** " و" **سقراط** " والذين أخذهم الدرس الحجاجي الحديث أساسا بُنِيَتْ عليه مختلف الأطروحات –الحجاجية– سواء البلاغية منها أم اللغوية .

تعتبر رسالة "**طوق الحمامة في الألفة والألفة**" ميدانا رحبا لصيغ حجاجية متنوعة أوردها الكاتب ليغير نظرة مجتمعه لموضوع مهم شغل الكُتاب والفقهاء على مر العصور الزمنية ،فمنهم من حرم الحب واعتبره من المآثم ، ومنهم من أباحه واعتبره متجسدًا في النفس الإنسانية منذ خلق الله ابن آدم على وجه البسيطة ،ليأتي صاحب مدونتنا ويحاول طرح مجموعة من الأفكار حاولت تغيير تلك النظرة بطابع حجاجي مثل إشكاليةً جاءَ بحثنا هذا لمحاولة الإجابة عنها وهي :

–ما هي الاستراتيجيات الحجاجية التي استعان بها ابن حزم الأندلسي حتى يؤثر في المتلقي ويحمله على الإذعان ؟

–هل اختلاف النماذج الخطابية من شعر ونثر يبرز اختلافا في أسلوب الحجاج وآلياته ؟

هل اقتصر الخطاب الحجاجي عند ابن حزم الأندلسي على استعمال الآليات اللغوية أم تعداها إلى البحث عن واقع المتلقي وظروفه المقامية ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها ارتأينا تقسيم البحث إلى مدخل وفصلين حيث جعلنا المدخل لسرد أهم المحطات التاريخية التي عرفها الحجاج ،سواء في التراث الغربي عند **السفطائيين** ودورهم البارز في الدرس الحجاجي القديم ،وبعدهم **أفلاطون** و**أرسطو** وطروحاتهم التي ناقضت الفكر السفسطائي وحاولت تقويضه ؛أو في التراث العربي الذي تناولنا فيه تجليات الحجاج في القرآن الكريم والسيرة النبوية ،ثم بحثنا بعد ذلك عن دور البلاغيين والفلاسفة العرب وجهودهم في ارتقاء النظرية الحجاجية العربية قديما .

تناولنا في **الفصل الأول** خصائص الخطاب الحجاجي ، ثم تطرقنا بعد ذلك إلى وجهة نظر كل من "**شايم بيرلمان** Chaïm Perlman " وزميلته "**أولبريخت تيتكاه**O.Tyteca " للحجاج ،وما هي الإضافات التي أضافها الباحثان للنظرية الحجاجية القديمة خاصة النظرية

الأرسطية في ظل البلاغة الجديدة ، ثم عرجنا على نظرية المساءلة **لـ"ميشال ماييرMichel mayer"** وبعدها بـ"**تولمين** *Toulmin* " بنظرته المنطقية للحجاج وجهود كل من الباحثَيْن في الميدان الحجاجي ،لنصل في النهاية إلى دور كل من "**ديكرو** Oswald Ducrot **وانسكومبر** *jean-claude*. Anscombre " وجهودهما اللغوية في ظل التداولية المدمجة ونظرية العوامل والسلالم الحجاجية .

حاولنا في **الفصل الثاني** استثمار الآليات الحجاجية التي تطرقنا إليها في دراستنا للحجاج عند كل من " **بيرلمان** " و" **ديكرو** " في رسالة "**طوق الحمامة في الألفة والأُلاف** " فتناولنا الآليات الحجاجية البلاغية من حجج "**شبه منطقية**" وحجج **مؤسسة على الواقع وأخرى مؤسسة على بنية الواقع** ،كما تناولنا الحجاج بشقه اللغوي عند " **ديكرو**" فدرسنا **الروابط والعوامل الحجاجية** كما استعنا بنظرية **السلالم الحجاجية** في ترتيب الحجج وتبيان فاعليتها .

لم نعتمد في بحثنا هذا على منهج موحد ، بل كنا طيلة مسيرة البحث نتداول على استعمال منهجين ،وهما المنهج التاريخي في تتبع النظرية الحجاجية ،والمنهج التداولي لما لآلياته من قدرة على استنطاق المدونة وكشف أبعادها اللغوية .

اعتمدنا طيلة مسيرة بحثنا على مراجع متعددة ، لعل أبرزها كتاب " **الحجاج في الشعر العربي القديم**" لسامية الدريدي ، وكتاب "**التداولية والحجاج** " لصابر الحباشة كما استعنا بمجموعة من المقالات لباحثين عرب على غرار **عبد الله صولة**، و**هشام الريفي** و**جميل حمداوي** وغيرها من المقالات والكتب ،كلٌ حسب ما تستدعيه محطات البحث ومعطياته .

لم تعترض طريقنا في إنجاز البحث صعوبات يمكن أن نشير إليها ،باستثناء ضيق الوقت وتشعب مسالك الحجاج سواء في الدراسات الغربية أو العربية ،غير أننا حاولنا تجنبها قدر المستطاع ، فإن نجحنا في ذلك فبفضل الله ،وإن أخطأنا فلم نقصر ولكن حرمنا التوفيق ،غير أننا يجب أن نقر بالفضل لكل ذي فضل ، ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة " **عمي ليندة** " وكل من ساعدنا في انجاز هذا البحث سواء من قريب أم من بعيد.

مدخـل

الأصول التاريخية للحجاج

يعتبر الحجاج عاملا مهما في كل النصوص الأدبية على اختلافها، فالشاعر يحتاج الى المحاجة والإقناع ،والخطيب يعتبره ركيزة أساسية يبني عليها خطبه والأهدافَ المتوخاةَ من ورائها؛ كالتأثير أو النصح والإرشاد وغيرها من الأسباب التي ترتبط بالخطبة والمقام الذي وردت فيه. ونظرا لما لفن الخطابة من أهمية في التاريخين العربي والغربي باعتباره من أول الفنون النثرية التي عرفتها الإنسانية ،فإن مسألة الحجاج أخذت حيزا واسعا في جل الفنون الأدبية اللاحقة؛ لارتباطها ارتباطا وثيقا بالمخاطَب وسبل اقناعه. وقبل التطرق لفن الحجاج ومقوماته في التراثين العربي والغربي، وجب علينا بادئ ذي بدأ تعريف الحجاج لغة ،وتبيان حدوده في مختلف المعاجم العربية والقواميس الغربية.

1-تعريف الحجاج

- الحجاج لغة :

يعرفه **ابن منظور** في مادة حجج بقوله :"**الحجة البرهان وقيل الحجة ما دوفع به الخصم ؛وقال الأزهري : الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة .وهو رجل محجاج أي جدل، و التحاج : التخاصم ؛ وجمع الحجة حُجَج وحِجاج وحاجه محاجة وحجاجا :نازعه الحجة**"[1] ،**وقد جاء في المعجم الوسيط الحجة الدليل والبرهان وجمعه :حجج وحجاج**[2] ،**أما الفيروز آبادي فلم يخرج تعريفه عن معنى البرهان وهذا في قوله : والحجة بالضم البرهان: والمحجاج الجدل**"[3] .

من خلال التعاريف السابقة يتضح لنا أن مصطلح الحِجاج أو مادة **(ح.ج.ج)** في المعاجم العربية على اختلافها قديمة كانت أم حديثة، لم يحِد عن معنى التخاصم والبرهان.

---

[1]-ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ط1، مج 2، بيروت ،لبنان ، 1997،ص 28.

[2]- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط1 ، ج1 ، القاهرة ، 1961 ، ص 157.

[3]- الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، تح : محمد نعيم العرقسوسي ، الرسالة للنشر والتوزيع ، ط8 ، بيروت ، لبنان 2005 ،ص 183.

أما في اللغة الإنجليزية فكلمة أو لفظ **argue** يحيل على شخص يناظر ويحاور ويجادل باستعمال الحجج والبراهين [1] **argument** " ،وهذا ما نجده كذلك في اللغة الفرنسية حيث تشير "كلمة **argumentation** إلى القيام باستعمال الحجج" [2].

إن الملاحظ للتعاريف السابقة يجد أن لكلمة –الحجاج وحجاج – مدلول لغوي متقارب ، سواءا في اللغة العربية أم الإنجليزية والفرنسية ،وسنحاول في طرحنا التالي الكشف عن مدلول الحجاج اصطلاحا وماهيته في التراثين الغربي والعربي .

– الحجاج اصطلاحا:

أ–عند اللغويين العرب :

بعد أن تفحصنا المدلول اللغوي لمادة **(حَجَجَ)** في بعض أمهات المعاجم العربية وبعض القواميس الغربية كان لزاما علينا ،بل والأجدر بنا أن نتناول الجانب الاصطلاحي لهاته الكلمة أو المصطلح ،مستندين في ذلك على تعريفات بعض اللغويين العرب أمثال **طه عبد الرحمن** الذي اعتبر أن "**الحجاج هو الأصل في الخطاب**"[3] كما عده غاية يلتقي لأجلها المخاطِب بكسر الطاء و المخَاطَب بفتحها ،فللأول وظيفة المدعي وللثاني وظيفة المعترض حسب **طه عبد الرحمن** الذي اعتبر كذلك أن حد الحِجاج كل منطوق به موجه الى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها ،معرجا في ذلك على بعض التعاريف اللغوية لكلمة حج التي تعني القصد والغلبة بالحجة في قولنا:**حاجه فحجه.**[4]

1 – رمضان عبد المحسن إسماعيل ، القاموس الشامل إنجليزي–عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 ، القاهرة مصر 2006 ، ص 51 .

[2]– Petit Robert, Dictionnaire de la langue français, 1er réduction, paris, 1990 , P : 99 .

[3]–طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1998 ، ص 226.

[4]– ينظر: طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 226.

أما **صابر الحباشة** فقد فصل في مفهوم الحِجاج، وجعل له كتابا مستقلا ربطه فيه بالتداولية والعلاقة بينها وبين الحجاج متتبعا المسار التاريخي له حينا ومقارنا بينه وبين مختلف العلوم الكلامية الأخرى في أحايين أخرى ،يقول "**يعني الحجاج بمعناه العادي طريقة عرض الحجج وتقديمها ، فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعالا**" [1] . من خلال التعريفين السابقين يتضح لنا ذلك التقارب في تعريف الحجاج عند كل من **طه عبد الرحمن** و**صابر الحباشة** حيث قرنا مفهوم الحجاج بالسامع أو المتلقي وسبل التأثير فيه وإفهامه.

ب-عند اللغويين الغربين :

لقد كان للبلاغة الجديدة دور كبير في دراسة مختلف تقنيات الخطاب وعلاقته بالمتلقين ،فهدف البلاغة الجديدة لا يقتصر على دراسة الكلمة في ذاتها ومن أجل ذاتها بل يتعداها الى دراسة السياق الخارجي ،وسبل التأثير في الأشخاص باستعمال الحجج والبراهين ،وقد اصطلح على هذه البلاغة بمصطلح "**البلاغة البرهانية الجديدة**" وهذا ما نجده عند المفكر "**شاييم بيرلمان** Chaïm Perelman" قبل أن تتبناه "**مدرسة بروكسل**" .

يعرف "**بيرلمان** Perelman" الحجاج بقوله :"**هو حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقتناع**" [2] ،هذه هي وجهة نظر **بيرلمان** -قبل أن نفصل فيها- في تعريف الحجاج ،الذي أخذ تعريفات أخرى ودراسات أولته أهمية كبرى وهذا ما نجده في اللسانيات الغربية ممثلة بمدرستين ،الأولى مدرسة بلجيكا " **بيرلمان** Perelman " **و** "**ميشال ماييير** *Michel Mayer* " والمدرسة الفرنسية بروادها " **ديكرو** Ducrot" **و** " **أنسكومبر** Anscombre " .وسنحاول في الصفحات القادمة تفصيل مفهوم الحجاج وكيف نُظر إليه عند

[1]-صابر الحباشة ، التداولية والحجاج -مداخل ونصوص- ،صفحات للدراسة والنشر ، ط1 ، دمشق ، سوريا ،2008 ص 21.

[2]-سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، بنيته وأساليبه ، عالم الكتب الحديث ، ط2 ،الأردن ، 2011 ص 21

مختلف الباحثين والمفكرين الغربيين وبعض البلاغيين العرب المعاصرين ،حتى تكون بذلك رؤيتنا لهذا المفهوم مستمدة من آراء لغويين لهم باع كبير في هذا المجال.

2-الحجاج في التراثين الغربي والعربي:

إن المتتبع للتاريخين الغربي والعربي سيجد لا محالة أن الحجاج وارد بكثرة في الدراسات الغربية والعربية على السواء، فرغم وروده بمسميات مختلفة كالجدل والإقناع عند أفلاطون و أرسطو في الثقافة الغربية ،والبيان الذي غرضه الإفهام عند الجاحظ في الثقافة البلاغية العربية ،إلا أن مفهوم الحجاج كما نعرفه اليوم لم يحد كثيرا عن المجالين السابقين – الجدل والإقناع – وسنحاول تفصيل الأمر في العنصرين التاليين :

أ-في التراث الغربي: انصب اهتمام اليونانيين القدامى على الفنون الكلامية عامة والفنون النثرية خاصة وبصفة مخصوصة على الخطابة ؛لما لها من واسع الأثر في نفوس العامة في ذلك الوقت ،ولعل أبرز من تكلم في هذا الموضوع " **سقراط** " و تلميذه "**أفلاطون**" ومن بعدهما " **أرسطو** " في رده على " **السفسطائيين** " ،الذين كان لهم السَبق في الحديث عن الحجاج ،واستعمالهم لبعض الحيل البلاغية الماهرة التي اشتهروا بها ،فما هي الحركة السفسطائية وما هي جهود الفلاسفة في ذلك العصر في مجال الحجاج ؟

-الحجاج عند السفسطائيين :

يعتبر **السفسطائيون** حركة فكرية ظهرت في أثينا مع نهاية القرن الخامس ميلادي حيث اقترن ظهورها بتغيرات أصابت المجتمع اليوناني بعد انتقاله من الأرستقراطية والاستبداد الى الحرية و الديمقراطية التي لعبت دورا بارزا في تشكل الآراء وبلورة الفكر الحجاجي السفسطائي لقد غير السفسطائيون مفهوم الفلسفة التي كانت تهتم بالطبيعة والورائيات ،إلى اهتمامهم بالإنسان وكل ما يتعلق به من لغة وبلاغة وخطابة ،كما يعتبر فلاسفة الحركة السفسطائية أول من صاغ الخطابة ووضع قواعدها وهذا ما صرح به " **جورجياس *Gorgias*** " في قوله :"**الخطابة هي الفن**

الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير"[1] ،كما ارتبط عندهم الكلام –اللوغوس– بالتذبذب والخداع بعدما كان مرتبطا بالقداسة المرتدية لثوب الحقيقة ،بل أصبح –الكلام– " **فتانا ومخادعا بعد أن كان موحدا للحقيقة ومقدما للمعرفة وأصبح أيضا أداة ووسيلة إقناع واقتناع ، تحملك على الاعتقاد والظن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما للحق والباطل** "[2] .

لقد كان هدف الحركة السفسطائية تعليم الناشئة اليونانيين فنون القول والتلاعب بالألفاظ في مدارات الجدل المختلفة ،قصد تهيئتهم للسلطة ، فكانوا بذلك يتقاضون مالا وفيرا يقول "**بروتاغوراس Protagoras**" **أوافق على أني سفسطائي ووظيفتي هي تعليم الناس** " [3] ،والتعليم الذي يقصده **بروتاغوراس** في قوله هذا ليس التعليم القيمي أو التعليم الأفلاطوني ،بل هو تعليم يقوم على تلقين الشباب الحجاج قصد استعماله في مواقف معينة بغرض جلب المنفعة المتعلقة باللذة المحصلة ،لا بالخير المقصود ،وهذا ما نجده في محاولتهم ترسيخ البلاغة في أذهان طلابهم حتى يستطيعوا مواجهة كل فكرة تعرض، إما بفكرة صحيحة أو بفكرة وهمية متلاعب بها ،إنهم يعلمون الشباب كيف يكسب القضية سواء بالحق أو بالباطل ،فليس من الضروري عندهم أن تَعلم شيئا عن الموضوع لتجيب ؛يكفي أن تكون متمكنا من فنون القول وألاعيبه حتى تمسك بزمام الأمور ،فهم يعلمون كيف يمسكون الخصم بشتى الوسائل ،كاللعب بالألفاظ والاستعارات والكنايات الجذابة ،بل حتى بخداع المنطق وتمويه الحقيقة و"**من أجل ذلك سمي اللعب بالألفاظ والتهريج في الحجج سفسطة**"[4] اشتقاقا من السفسطائيين.

---

[1]–الزاوي بغورة ، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ، دار الطليعة ، ط 1 ، بيروت ،لبنان ، 2005، ص 12.

[2]–المرجع نفسه ، ص 13.

[3]–هشام الريفي ،الحجاج عند أرسطو ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف: حمادي صمود ، منشورات كلية الآداب منوبة ، د ط ،منوبة ، تونس، 1998 ، ص60 .

[4]– أحمد أمين وزكي نجيب محمود : قصة الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط5 ،القاهرة ،مصر 1964، ص99 .

إن السفسطائيين كحركة فكرية بآرائها الهدامة لكل ما هو مثالي ،مثل الدين و الأخلاق و القيم و المثل العليا ،ساهمت بسِلْبِيَتِها هاته في سُخط المجتمع الأثيني عليها وتهييج الفلاسفة المعاصرين لها. بَيْدَ أنها عَمِلت كذلك –الحركة السفسطائية– على ترقية الحجاج والبلاغة موجةً بذلك الناس الى دراستهما والاستفادة من آلياتهما في الإقناع، مما مهد الطريق واسعا أمام أفلاطون وتلميذه أرسطو من بعده .

- الحجاج عند أفلاطون :

لم تكن الحركة السفسطائية في منأى عن ردود الفلاسفة الذين رفضوا أطروحاتها وردوا عليها ،فنشب بذلك صراع بينها وبين بعض الفلاسفة على غرار **أفلاطون** الذي حاورهم وحاول كشف زيفهم وسفسطتهم ،وهذا ما يبدوا جليا في محاورته **لجورجياس *Gorgias*** و **فيدر *Vader*** ، فبحث في الأولى عن وظيفة الخطابة وموضوعها أما الثانية فذهب فيها الى الموازنة والمعارضة ،عارضا الأصول التي كان يعتمدها في دراسة النصوص الحجاجية عموما[1] .

لقد قام أفلاطون في المحاورة التي أقامها مع "**جورجياس *Gorgias*** " بفحص موضوع الخطابة في ضوء المقابلة **علم \ ظن** ،وذكر أن الإقناع نوعان :إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظن [2] ،فعقل الأول –العلم– بالفائدة بينما ربط الثاني بالسفسطة .

وفي جزء آخر من المحاورة قَيَم وظيفة الخطابة في ضوء المقابلة **خير \ لذة** وذكر أن هناك صنائع تحقق الخير للإنسان وهي جسمه (الطب والرياضة) ونفسه(العدل) ثم عرج على بعض الممارسات التي تخاتل الإنسان دوما وتخدعه ،وهذه الممارسات جعلها أفلاطون تحت اسم جامع هو " **التَمَلُق** " الذي يفيد اللذة والخداع [3]،لقد اعتمد أفلاطون في تقييم القول على منهج يبحث في صلة القول بالقيم .فربط في المقطع الأول القول الخطابي (الحجاجي) بمعيار العلم

[1]– ينظر : هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ص 68.

[2]– ينظر : المرجع نفسه ، ص 63

[3]– ينظر: نفسه ، ص 64.

ووزنه في المقطع الثاني بمعيار الخير ،الذي نفاه عن السفسطائيين وفي هذا يقول : " **يسعى الخطباء في أثينا إلى كسب إعجاب الشعب ويضحون بالنفع العام في سبيل نفعهم الخاص**" [1].

أما في محاورته مع **فيدر** فقد حاول أفلاطون التنبيه الى خطر الافتِتَانِ بالقول الحجاجي ،ونحن عندما نقول القول الحجاجي فلا نقصد الحجاج الأفلاطوني؛ ذلك أنه بين القول الحجاجي السفسطائي الذي فتن شباب أثينا و "**فيدر** ***Vader*** " واحد منهم والحجاج الذي فتن أفلاطون أقصى مدى في الاختلاف ،وهذا ما حاد بأفلاطون الى البحث عن سبيل يخرج به شباب أثينا من غيابات السفسطة إلى نور الحقيقة فاختار المحاورة والمعارضة سبيلا لذلك .

لقد قام أفلاطون في محاورة "**فيدر**" برسم صورة لمعلمه سقراط وهو يحاور ويحاجِجُ السفسطائي "**ليزياس** Lysias "،مستعملا في ذلك مبدأ "**المعارضة**" والذي يقصد به " **معارضة النص الأول بنص ثاني** "[2] ،كما أن المعارضة لا تقتصر على النص فقط بل تتعداه الى التلميحات وايماءات الوجه؛ لقد قرأ سقراط النص الأول –حسب أفلاطون– وعلامات الخجل بادية على وجهه، بينما قرأ النص الثاني والوجه سافر، وعندما فرغ من القراءة عبر له "**فيدر**" عن مقدار إعجابه، واعترف له أن حجاج " **ليزياس** Lysias " باهت بالقياس إلى حجاجه هُوَ ،وبذلك كان الخروج من حجاج إلى حجاج آخر مقصدًا من أهم مقاصد أفلاطون في محاوراته[3].

وهكذا نجد أن أفلاطون في محاورته الأولى جادل في موضوع الخطابة ووظيفتها بينما في المحاورة الثانية بحث عن نقاط ضعف الحجاج السفسطائي ورد عليه معرجا في ذلك على قيمتين أساسيتين، قيمة الخير وقيمة الشر في ميزان الحجاج ومقاصده.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 65.

[2]– ينظر : هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو، ص 68.

[3]–ينظر: المرجع نفسه ،ص 69 .

-الحجاج عند أرسطو:

لقد تناول أرسطو في كتابه الخطابة أو "**الريطوريقا** " الحجاج بواسع الدراسة والتمحيص ؛ذلك أنه تناول الخَطَابة وعلاقتها بالحجاج كما عَرَّجَ على مسألة التَصدِيقِيَاتِ أو الحُجَجِ ومكانتها في فن الخَطَابَة يقول في هذا الشأن : "**فأما التصديقيات فينبغي أن تكون مثْبَتَات ، لأن التَثبيت لازم**"[1] ،كما درس البرهان الذي عده جزءًا أساسيا من الكلام ، وأن أيَّ خصومة "**لابد لها وأن يستند فيها المتخاصمان على براهين حيث أن الخصومة إنما تكون على أوجه ، أما في الشيء الذي فيه الخصومة فيؤتى عليه بالبرهان**" [2] .

لقد ربط أرسطو بين صناعة الجدل **(الديالقطيقية)** والخطابة **(الريطورية)** واعتبرهما متحدين لا يمكن التفريق بينهما، وأنهما كذلك موجودان عند جميع الناس يقول:"**إن الريطورية ترجع على الديالقطيقية وكلتاهما توجدان من أجل شيء واحد (الإقناع) وتشتركان في نحو من الأنحاء**"[3] .

كما قام أرسطو بتقسيم الخَطَابَة الى ثَلاَثَةِ أصناف : "**مشوري ،ومشاجري وتثبيتي**" وهذه المصطلحات هي ما يقابل: الاستشاري والقضائي والاحتفالي عند باحثين آخرين ،كما قام – أرسطو– بتقسيم الحجج الى حجج غير صناعية (جاهزة) ،وحجج صناعية (غير جاهزة)، "**فأما الأولى فهي الخارجة عن سلطة الخطيب ولا يكون له فيها أي دخل مثل الشهود والاعترافات ،والوثائق والإثباتات والأقوال المنتزعة عن طريق التعذيب ،يقول أرسطو : وقد أعني باللاتي بغير صناعة تلك اللاتي ليست تكون بحيلة منا ، لكن بأمور متقدمة كمثل الشهود والعذاب والكتب والصكاك وما أشبه ذلك**"[4] ، وأما الثانية – الحجج الصناعية– فمرتبطة ارتباطا وثيقا

---

[1]–أرسطوطاليس ، كتاب الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم،، د ط ، بيروت ، لبنان 1979 ،ص244.

[2]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[3]– نفسه ، ص 3.

[4]– نفسه ، ص 9.

"بالخطيب وطرق استعماله للحجج وكيفية استخراجها ، وتنقسم الى ثلاثة أقسام حسب أرسطو فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسَمْتِهِ ، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت"[1] .

أما المقالة الثانية ،فقد خصها ارسطو بذكر الانفعالات العامة من غضب وحسد ،ونقمة وغيرها كما تكلم فيها عن الأخلاق وعلاقتها بالسن وظروف الحياة المختلفة ليصل بعد ذلك الى المَثَلِ وأنواعه وطرق استخدامه ،حيث بَيَّنَ أرسطو أن هناك نوعين من الأمثلة ،مثل تاريخي يلجأ اليه الخطيب حَيْثُ يورد أحداثًا تاريخية لتقوية رأيه ،ومثل مخترع (الخرافة) وفيه يورد الخطيب أمثلة مشابهة للقضية ضاربًا بذلك أمثلة على لسان الحيوان * أما المقالة الثالثة فجعلها أرسطو لخصائص الأسلوب الذي تعود أهميته حَسبَهُ إلى كون عامة الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم، فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة ، فالأسلوب دائمًا ينبغي أن يكون سليمًا واضحًا موافقًا لمُقتضَى الحالِ .

من خلال كل ما سبق يتضح لنا أن الحجاج الأَرسطي لم يخرج عن نطاق الخطابة ومفرداتها ،والخطيب وملكاته وهذا راجع في رأينا الى الأهمية البالغة التي اكتستها الخطابة في ذلك الوقت .

ب-الحجاج في الثقافة العربية: لقد أولى العرب أهمية كبرى للحجاج وأحاطوه بمحاولات قيِّمةٍ من الدراسةِ والبحثِ، فرغم عدم وُروده بالمفهوم المتعارف عليه اليومَ أو بالمفهوم الذي صاغه أفلاطون وأرسطو إلا أنه لاقَى اهتمامًا بالغًا خاصةً بعد نزول الرسالة المُحمديةِ ،فكان القرآن الكريم ميدانًا رحبًا لصيغٍ مختلفةِ الدلالاتِ ،تدل في غالبها على معنى الحجاج والبرهان والجدل ،ليأتي بعدها دور البلاغيين والمفسرين الذين حاولوا بما توفر لهم من آلياتٍ – في

[1]– أرسطوطاليس ، كتاب الخطابة ، ص10 .

*– ضرب أرسطو في كتابة في هذا الباب موضوع أسطيسخوس حين أعطى لقومه مثالا موظفا في ذلك الحيوانات كالفرس والأيل كأبطال لقصة خرافية.

عصرهم – مكنتهم من دراسة الحجاج بطريقة أقل ما يمكن أن نقول عنها أنها تماشت وروحَ العَصر، لتَتَظَافر الجهود مع ظهور تيارات إسلامية فلسفية حاولت هي الأخرى الإدلاء بدلوها في ميدان الحجاج ،وهذا ما سنحاول الكشف عنه والتطرق إليه في عناويننا التالية :

-الحجاج في القرآن الكريم :

ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعانيَ مختلفةٍ كالمُحاجَّة والجدل والبرهان يقول الله تعالى: { **قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّـهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ}** [1]. فَسر محمد الطاهر بن عاشور الآية بقوله :" **ومعنى المحاجة في الله الجدال في شؤونه بدلالة الاقتضاء ،إذ لا محاجة في الذات بما هي ذاتٌ والمرادُ الشأنَ الذي حملَ أهل الكتاب على المحاجة مع المؤمنين فيه** "[2] ،من خلال قول ابن عاشور نَلْحظُ أنه ربط المحاجَّة في الآية بالجدال خِلافَ ما ذهب إليه السيوطي الذي ربط فعل المحاجة بالخِصَامِ[3]، وَعَقَلَهَا القُرطبي بالمجاذبة[4] ،غير أن محمد الطاهر بن عاشور استدرك الأمر بل ربما راعى السياق الذي وردت فيه معاني الحجاج في الآيْ القرآني؛ ذلك أنه فسر كلمة حاجَّ في قوله تعالى:{ ***أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ***} [5] بالمخاصمة يقول ابن عاشور:" **معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف حَاجَ في الاستعمال فعل مجرد دالٌ على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها ، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى ،مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة** [6] ؛ أي أنها ترتبط بالخصام.

---

[1]– سورة البقرة ، الآية 139

[2]–محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، د ط ، الجزء الأول ، تونس ، 1984 ص 745.

[3]– ينظر : جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي،تفسير الجلالين ، دار الحدث ، القاهرة ، مصر، ط3 2010 ص49 .

[4]–ينظر: محمد القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،تح: عبد الرزاق المهدي ،دار الكتاب العربي، د ط، ،بيروت لبنان2007،ج2،ص142.

[5]–سورة البقرة ، الآية 257.

[6]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ،ج2، ص 143.

أما كلمة برهان فقد وردت في القرآن الكريم عدة مرات وقد تطرقنا إلى قوله تعالى ***{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا }*** [1] ،لقد وردت كلمة برهان في الآية الكريمة بمعنى الحُجة والبينة كما أشار "**عبد الرحمن الثعالبي**" في تفسيره حيث يقول: " **والبرهان الحجة النيرة الواضحة التي تعطي اليقين التام ،والنور المبين**" [2] ؛ يعني القرآن الكريم .

من خلال بحثنا عن معاني الحجاج في القرآن لاحظنا أنه ورد بمعاني تحمل معنى الجدال والخصام والبرهان، وهذا راجع في رأينا إلى أسباب النزول وارتباط كل معنى بالسياق الذي ورد فيه.

-الحجاج في السيرة النبوية:

جاء الرسول عليه الصلاة والسلام بدين جديد صحح الديانات التي كانت منتشرة في شبه جزيرة العرب ،لقد كانت الرسالة المحمدية بمثابة الثورة على العادات والتقاليد والعقليات المنتشرة في قريش وما جاورها من القبائل العربية، لقد جاءهم محمد صلوات ربنا عليه وسلامه بشريعة جديدة ،ممثلة في القرآن الكريم الذي خالف به كل الكتب السماوية –التوراة والإنجيل– السائدة في ذلك العصر، وخالف به كذلك معتقدات العرب قاطبة فأحدثت بذلك دعوته للدين الجديد حركة فكرية جدلية واسعة النطاق؛ سواء مع كفار قريش أو مع الامبراطوريات المتاخمة لشبه الجزيرة العربية كالروم والفرس، ونحن عندما نتحدث عن الجدال في عصر النبي ،فإننا نجمله في ثلاث نواح أُسوةً بالإمام "**محمد أبي زهرة**" الذي حصر جدال النبي صلى الله عليه وسلم في :

أ – جدال النبي مع المشركين ؛

ب – جداله عليه الصلاة والسلام مع اليهود والنصارى ؛

[1]–سورة النساء ،الآية 174.

[2]–عبد الرحمن الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،تح: عمار الطالبي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ،د ط الجزء الأول ، 2007 ، ص518 .

جـ- جدال العرب والروم والحبشة مع بعض القرشيين .[1]

فأما جداله صلى الله عليه وسلم مع المشركين، فكان جدالا بالتي هي أحسن كما دعاه رب العزة في قوله تعالى " **وجادلهم بالتي هي أحسن**" غير أن جدال الرسول وبيان حجته التي بينت سُقم آلهتهم وبطلان عبادتها، أثر في نفوس مشركِي قريش فأقبلوا مجادلين ولكن الجدال باللسان أعجزهم وهم القوم الخصمون ،فعمدوا الى الاستهزاء والسخرية، ثم انتقل الأمر من جدال ومقارعة بالحجة ،إلى اضطهاد ومقاطعة للنبي عليه الصلاة والسلام.

أما سبب جدال الرسول صلى الله عليه وسلم ومحاجته لليهود والنصارى فيمكننا إجماله في النقاط التالية:

أ - تحريفهم للتوراة والإنجيل واختلافهم فيهما ؛

ب - انكار الرسول صلى الله عليه وسلم لدور الأحبار والرهبان في الدين اليهودي والمسيحي؛

ج- أكلهم أموال الناس بالباطل وأكلهم الربا بحجة أنهم أميين ؛

د- حرصهم الشديد على الدنيا وتمسكهم بملاذها وشهواتها ؛

هـ- رفض الرسول صلى الله عليه وسلم لعقيدة التثليث وأكل لحم الخنزير وغيرها من أباطيل النصارى [2].

لقد كان جدال الرسول لليهود والنصارى جدال حق مع باطل ،كيف لا والرسول الكريم صاحب بيانٍ وحجةٍ ،تلك الحجة التي تخطت حدود شبه الجزيرة العربية ليصل صداها الى قيصر الروم ،وكسرى الفرس ونجاشيَ الحبشةِ ،الذي يُورد التاريخ الإسلاميُ قصة إسلامه بعد جدال ومحاجة معروفة بينه وبين الصحابي عمرو بن أمية الضمري [3] .

---

[1]-محمد أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، دار الفكر العربي ، ط1،القاهرة ، مصر ،1980، ص 42 .

[2]-ينظر:المرجع نفسه ص 48.

[3]-ينظر: نفسه، ص 55.

هذا باختصار ما يمكن أن نقوله عن الحجاج والجدال في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك الحجاج الذي كان لابد منه حتى تظهر الحجة الدامغة وينتشر نور الرسالة المحمدية في مجتمع متعصب مكابر، لا يؤمن إلا بعد بصر بالحجة واقتناع تام بصحة الرسالة .

-الحجاج في البلاغة العربية:

لم يرد الحجاج في التراث البلاغي العربي بتسميته الاصطلاحية الدقيقة المتعارف عليها اليوم ،هذا وإن قارب مفهوم الحجاج الأرسطي ما أتى به الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ،حيث أورد ما يشير إلى الحجاج وإلى قوة الحجة، يقول الجاحظ على لسان الحسن البصري :"**وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرق عندها :يا هذا إن بقلبك لشرا أو بقلبي، وقال علي بن الحسن رضي الله عنهم :لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة ،وجملة الحال في صواب التبيين لأعربوا عن كل ما تخلَج في صدورهم ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم**[1] ".

من خلال القول الذي بين أيدينا نلاحظ أن الجاحظ لم يتكلم صراحة عن مفهوم الحجاج بالمعنى الدقيق له والمتعارفُ عليه اليومَ، لكنه أورد كلماتٍ يمكن أن نعتبرها كلماتًا مفاتيحَ في نصه ؛حيث ذكر كلمة يَعِظُ والوعظُ لا يستقيمُ إلا بقوة الحجة وبيان العبارة كما نجد كذلك كلمة الاستبانة وكلمة التبيين ؛فالاستبانة هي السؤال والتبيين هو الإفهام والإفصاح القائم على الحجج والبراهين .

إن الجاحظ رغم بعد عصره عن عصرنا ،وبعد فكره عن فكرنا إلا أنه سبقنا الى توضيح مفهوم البلاغة التي ربطها وعَقلَها بالحجة والإفصاح يقول : "**وقال بعض أهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة** . ثم قال : **ومن البصر بالحجة والمعرفة**

[1]-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،البيان والتبيين ،تح: فوزي عطوي ، دار صعب ، د ط ، بيروت ، لبنان ، الجزء الأول ، د ت ، ص 59 .

بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها ،إذا كان الإفصاح بها إلى الكناية عنها أوعر طريقة ،وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك وأحق بالنظر[1] ".

إن المتمعن في قول **الجاحظ** سيلحظ أنه استعمل مصطلح الحجة والسياق الذي يرتبط بالمقام أو –الفرصة– الذي وردت فيه ،سواءٌ كان هذا المقام يفرض عليك التصريح بحجتك أم التلميح بها فقط ،وهذا ما عبر عنه بالكناية، كما أشار الى أن السكوت كذلك وعدم الإفصاح ربما يكون أبلغَ .وهذا ما لم يذهب إليه **حازم القرطاجني** في كتابه "**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**" الذي نَرُوم البحث فيه عن معنى الإقناع حينا ومعنى الحجاج حينا آخر والتخييل في أحايين أخرى ؛ذلك أن **القرطاجني** في فصله بين ما هو شعري وما هو خَطابي اعتمد التخييل والإقناع حدودًا تَحُدُ كل صناعةٍ وتُمايزها عن الأخرى يقول:" **وينبغي ألا يستكثر في كلتا الصناعتين مما ليس أصيلا فيها كالتخييل في الخطابة، والإقناع في الشعر ،بل يؤتى في كلتيهما باليسير من ذلك على سبيل الإلماع** "[2] ،من خلال القول المذكور نستنتج أن حازم القرطاجني أنكر أن يستعمل التخييل في فن الخطابة والإقناع في فن الشعر؛ ذلك أنه لا يليق بهما ،لأن الخطابة لا تعتمد التخييل بالقدر الذي يجب أن يَرِدَ فيه في ميدان آخر هو ميدان الشعر ،بيد أنه – القرطاجي – اشترط في حال الورود عدم الاستكثار لأنة مخل بالفَنَيْنِ –الخطابة والشعر– ،كما نجد أن القرطاجني في حديثه عن الكلام فرق بين نوعين : **كلام من جهة الإخبار والاقتصاص ،وكلام من جهة الاحتجاج والاستدلال** [3].

كذلك نجد أنه حين تكلم عن طرائق إقناع الخصم أورد طريقتين هما التمويهات والاستدراجات ،يقول حازم القرطاجني :" **التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها الى تقوية الظنون ما أنه على**

---

[1]– المصدر السابق ، ص 61 .

[2] – حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح :محمد الحبيب ابن الخوجة ،دار الغرب الإسلامي، ط3 ،بيروت لبنان ،1986 ،ص 362.

[3]– المصدر نفسه ، ص 63

غيره ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتذائها "[1] ،من خلال قول القرطاجني نلحظ أنه ربما تأثر بأفكار سقراط وأفلاطون في المحاورات ؛ذلك أن طريقة الاستدراج عرفت عند سقراط وأفلاطون في الفلسفة اليونانية القديمة ،أما التمويهات فتكون فيما يرجع الى الأقوال من تمويه وإلهاء للسامع [2].

-الحجاج في الفلسفة الإسلامية * :تُعتَبَرُ الفلسفة الإسلامية بفلاسفتها ميدانا رحبا لتبادل الأفكار والمسلمات، لقد كانت بمثابة الثورة الفكرية التي عرفها المجتمع الفكري الإسلامي ،فنتجت كحتمية لذلك التطور وتلك الثورة آراءٌ في ميدان الحجاج والجدال لما له من أهمية في المقارعَة بالحجة وترجيح رأي على آخر، مما مَهَد لبُزُوغ فلاسفة كبار على غرار أبو نصر الفارابي وابن حزم الأندلسي اللذين اتخذناهما مثالين درسنا من خلالهما دور الفلاسفة المسلمين وأبرز آرائهم في الحجاج :

1-جهود الفارابي الحجاجية : يعد أبو نصر الفارابي** من أوائل الفلاسفة الذين تحدثوا عن العلوم الحَكَمِيَةِ ؛حيث نَوَهَ إلى الدورِ الكبيرِ الذي يُمكن أن تلعبه القُدراتُ الذاتية والملكات العليا في معرفة حقائق الأشياء وكُنْهِهَا ،كما كان لترجمته وشروحه لأعمال الفلاسفة اليونانيين واسع الأثر على الفلاسفة المتأخرين .

تناول الفارابي في كتابه البرهان مسألة التصديق وأنواعه، حيث قسمه إلى نوعين ،تصديق تام وتصديق مقارب لليقين والذي اعتبره -الفارابي- تصديقا جدليا يقول في تعريف التصديق المقارب لليقين " **التصديق المقارب لليقين إما أن لا يشعر بمعانده أو يشعر به، ويكون ما يشعر به من خفائه إلى مقدار ما ينطق عنه أو الذي يفسر عناده**"[3] أما اليقين الضروري فقد يحصل " **عن قياس وقد لا يحصل عن قياس ، وما يحصل منه عن قياس فهو حامل إما**

[1]- المصدر السابق ، ص 64.

[2]- ينظر :المصدر نفسه ، ص 65.

*- يطلق على الفلسفة الإسلامية عند بعض الدارسين اسم: علم الكلام

**-أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي فيلسوف مسلم ولد سنة 260هـ وتوفي سنة 339هـ

[3]-أبو نصر الفارابي ، كتاب البرهان ،موفم للنشر ، د ط، الجزائر ، 1993 ،ص 52

بالذات وإما بالعرض مثل ذلك أن الإنسان يمشي ومن يمشي فهو حيوان فالإنسان إذن حيوان" [2]،من خلال القولين نستنتج أن الفارابي ربط التصديق المقارب باليقين بالجدل ؛ذلك أنه يترك في نفس متلقيه مساحةً من التساؤلات ،بينما التصديق التام فهو تصديقٌ مبنيٌ على مقدمةٍ أو فرضياتٍ تصل بك إلى نتائج يقينية.

كما نجد أن الفارابي لخص الفرق بين الدين والفلسفة عند قدماء اليونان في قوله "**إن اسم الفلسفة خاص عندهم بالعلم الذي تتعقل فيه حقائق الأشياء بذاتها ، لا بمثالها ،ويتوسل فيه إلى إثباتها بالبراهين اليقينية لا بمجرد الإقناع، أما المِمَلْ والنِحَلْ فطريقها في التفهيم إقناعي وتمثيلي** " [1] ،ومعنى الإقناع عند الفارابي مرتبط بالتعليم الذي لا يلتئم إلا بشيئين الأول الإقناع والثاني التفهيم والتصديق به ،وإقناع التصديق يكون بأحد الطريقتين " **إما بطريق البرهان اليقيني، وإما بطريق الإقناع** "[2] ذلك الإقناع المتضمن وسائل عدة ؛كاستثارة العاطفة الدينية ،ومخاطبة الرهبة والخوف والأمل وغيرها[3] .

من خلال بحثنا عن إرهاصات النظرية الحجاجية في فكر الفارابي ،لاحظنا قرب أطروحات الفلسفة الفارابية من الفلسفة الأرسطية ،وذلك راجع في حد نظرنا إلى اشتغال أبو نصر الفارابي بشرح أعمال أرسطو والتعليق عليها، مما أدى به إلى التأثر بها وهذا ما استنتجناه في تعقبنا للحجاج في مختلف الكتب التي تناولت أعمال الفارابي .

2-جهود ابن حزم الأندلسي :يُعتبر ابن حزم الأندلسي أحد أبرز فلاسفة الإسلام في الأندلس ،حيث جمع بين العلوم الشرعية والعلوم الكلامية ،ونحن عندما نتكلم عن ابن حزم ،فإننا نتحدث عن ذلك العالم العنيد القوي كما وصفه أحد الباحثين ،اشتهر بالمجادلة فاعتبر أول

[1]-عزمي بشارة ، الدين والعلمانية في سياق تاريخي ، الركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط1 بيروت ، لبنان 2013، الجزء الأول ،ص 41.

[2]-المرجع نفسه ، ص 41.

[3]- ينظر: نفسه ، ص 41.

متكلم بارز في اسبانيا [1] ،لقد كان ابن حزم ينظر إلى الفقهاء على أنهم جهلة وانتهازيون يرغبون في السلطة على حساب مذهبهم الأمر الذي أدى به أن يكون ظاهريا * وهذا ما استقرءناه في كتابه " **ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد**" وكتاب " **الفصل في المِلَل والأهواء والنِحل** " الذي أورد فيه حججا حاول من خلالها التشكيك في صحة نسبة التوراة إلى النبي موسى ،وكانت حججه في ذلك كثيرة لعل أبرزها مخالفة ما ورد في التوراة لمنطق الأشياء وللحقائق التاريخية ، كما نجد أنه –ابن حزم– ربط البرهان والحجة بالفلسفة يقول : " **أليست الفلسفة موقوفة على البراهين المفرقة بين الحق والباطل**"[2] ،لقد حاول صاحب كتاب "**طوق الحمامة في الألفة والألاف**" أن يتبع منهجا فلسفيا قائما على تبين المنطق باستعمال البيان وآلية تمكين الأسماء بإيرادها في سياقها التاريخي مع ترسيخ للأمثلة باعتبارها أدوات حجاجية تدعم القضية المتناولة بالدراسة[3] .

لقد ارتبط مفهوم الحجاج بمعناه الحديث عند ابن حزم بمجال المناظرات والمجادلات التي تستدعي الحجة، ولم يكن اختيارنا للفارابي وابن حزم وليد الصدفة بل كان لاعتبارات زمنية بين الفيلسوفين من جهة ،ولاختلاف المنهج الفلسفي عندهما من جهة أخرى حيث قرَن الفارابي الحجاج بالفلسفة بينما عَقَلَهُ ابن حزم بالدين وهذا هو ربما جوهر الاختلاف بين أبو نصر الفارابي وابن حزم الأندلسي .

[1]–ينظر: محمد آيت حمو ، فضاءات الفكر في الغرب الإسلامي ،دراسات ومراجعات نقدية للكلام ،منشورات الاختلاف د ط الجزائر ، 2011 ، ص 194.

[*]– الظاهرية مذهب فقهي، وقيل منهج فكري وفقهي، نشأ المذهب في بغداد في منتصف القرن الثالث الهجري إمامهم داود بن علي الظاهري ثم تزعمهم وأظهر شأنهم وأمرهم الإمام علي بن حزم الأندلسي .وتعد بعض المصادر أن الظاهرية هو المذهب السني الخامس.

[2]– محمد آيت حمو ، فضاءات الفكر في الغرب الإسلامي ، ص 196 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 197.

الفصل الأول:

الأصول التاريخية للحجاج

لقد كان للبلاغة الجديدة دور بارز في ارتقاء النظرية الحجاجية بعدما كانت فاترةً نتيجةَ فتورِ الدرسِ البلاغيِ الذي كان مهمشًا ومُلغَى من الدُروس الجامعية حتي سنة 1958 مع بروز عالمين بلاغِيَيْن ،الأول هو" **شايم بيرلمان** Chaïm Perlman" أما الثانية فهي "**أولبريخت تيكاه** O.Tyteca " وكتابهما "**مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة** " الذي يتضح لنا من خلاله أن الكاتبين تناولا الحجاج الأرسطي بإسقاطات بلاغية جديدة لم تكن معروفة من قبل ،فما هو تعريف البلاغة الجديدة وما هي مجهودات كل من بيرلمان وتيتكاه؟

تُعرف البلاغةُ الجديدةُ بأنها "**نظرية الحجاج التي تهدف الى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثم يتطور كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور**"[1]، من خلال التعريف الوارد نلحظ أنَّ البلاغةَ الجديدةَ لا تهتم بالمخاطبِ بقدرِ ما تهتم بالخِطابِ، وعندما نتحدث نحن عن الخطاب فإنَّنَا نقصد الخطاب الحجاجيَ ومقوماتِه التي تَفرض علينا التطرق إليها قبل الخوض في جهود كل من بيرلمان وتيتكاه.

1-الخطاب الحجاجي: يميز **طه عبد الرحمن** بين خطابين؛ خطاب يقوم على إقامة علاقة تخاطبية بين شخصين وأكثر، وخطاب حجاجي قائم على الادعاء والاعتراض يقول طه عبد الرحمن :" **يتضح أن حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير ،وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية وليس العلاقة التخاطبية وحدها فلا خطاب بغير حجاج** "[2] ،ويُقصد بالادعاءِ والاعتراضِ قبولَ القضيةِ بالادعاءِ دون برهانٍ أو رفضها والاعتراضِ عليها والمطالبةِ بدليلِ صِدقِها، كما جعل " **طه عبد الرحمن** " للنص الحجاجي مجموعة من الخصائص يمكن أن نجملها في:

[1]- حمادي صمود ، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، منشورات كلية الآداب منوبة ، د ط ،منوبة ، تونس، 1998 ، ص 15 .

[2]- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ص 225-226.

1-1-الاستدلال: يمتاز الخطاب الحجاجي بأنه خطاب استدلالي*؛ قائم على المستدِل والمستَدل له، أي المخاطِب بكسر الطاء والمخاطَب بفتحها، يقول طه عبد الرحمن :" **ولما اتضح بما فيه الكفاية أن العلاقة الاستدلالية بانية لحقيقة الخطاب ،فقد لزم أخذها في تعريفه واعتبارها في إبراز خصائصه ووظائفه**"[1] والخطاب الاستدلالي هو في نظرنا أقرب إلى الخطاب الفلسفي أكثر منه الخطاب الأدبي.

1-2-التفاعل: عندما نقف على لفظ الحجاج فإنه يتبادر إلى ذهننا معنى "**التفاعل**" ،ذلك التفاعل القائل على تبادل الأدوار بين المرسِل والمرسَل إليه؛ أي بين المدعي والمعترض أو ما يمكن أن نطلق عليه " **التقلب في الوظيفة**"[2] كما اصطلح عليها طه عبد الرحمن ،واعتبرها الفاصل الوحيد بين البرهان الذي لا يسمح بالتغير في الوظائفِ والتفاعلِ الحجاجيِ الذي يُعتبر تبادلاً للأدوار بين المدعي والمعترض كما أسلفنا الذكر .

1-3- المجاز : يعتبر المجاز محددا أساسيا للخطاب الحجاجي؛ ذلك أن العلاقة المجازية هي التي تحدد ماهية الحجاج وليس العلاقة الاستدلالية وحدها، والمجاز في الخطاب هو تعالق بين معنيين الأول حقيقي والثاني قَيمِي أو مجازي، إنه تعالق يتمثل في كون الأول منهما واسطةً في حدوث الثاني[3].

هذه باختصار بعض خصائص الخطاب الحجاجي؛ ذلك الخطاب الذي أولته الدراسات المختلفة أهمية كبرى وهذا ما سنحاول التطرق إلية بدءًا بأعمال كل من بيرلمان وتيتكاه في البلاغة الجديدة .

* يعرف الجرجاني الاستدلال بأنه : "تقرير الدليل لإثبات المدلول ،سواء كان ذلك من المؤثر إلى الأثر أو العكس " ينظر كتاب التعريفات ، ص 18

[1]-طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ص 226.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص 229.

[3]- ينظر: نفسه ،ص 231

2-الحجاج في البلاغة الجديدة : لقد قام رجل القانون البلجيكي "**شايم بيرلمان**Chaïm Perlman " بتطوير النظرية الحجاجية وهذا في كتابه المشترك مع "**تيتكاه** Tyteca" " **مصنف في الحجاج** " كما أسلفنا الذكر سابقا، حيث يعرف "**بيرلمان** Perlman " الحجاج بقوله: "**موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم**"[1] ، من خلال تعريف "**بيرلمان**" و"**تيتكاه**" للحجاج نستنتج أن الكاتبين ربطا موضوع الحجاج بمجموع التقنيات الخَطَابية التي تؤدي بأذهان المتلقين إلى القبول أو زيادة ذلك القبول بعرض مجموعة من الحجج، أما الغاية من الحجاج فهي عندهما " **أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان**"[2] ولا يكون الإذعان في نظرنا إلا بقوة الحجة ومتانتها .

لقد رفض " **بيرلمان** Perlman **"** ربط البلاغة الكلاسيكية التي كانت موجودة في القرن السابع عشر بالبلاغة الأرسطية، معتبرا الأولى بلاغة الصور الأسلوبية الهادفة للإعجاب وتحريك العواطف بينا تهتم الثانية بالوظيفة الإقناعية فيه [3].

إن البلاغة الجديدة أو البرهانية تختلف عن أيِ نظريةٍ بلاغيةٍ غيرَ حجاجيةٍ إنها مندرجة في الإرثِ الأرسطيِ بصورةٍ كبيرةٍ مع بعض المفارقات؛ ذلك أن بيرلمان في انطلاقته انطلق من فكرة أرسطو القائلة بأن الاستدلال التحليلي مرتبط بالصواب والمنطق بينما الاستدلال الدْيَالِكْتِيكِي فينطلقُ من مقدماتٍ وآراءٍ مقبولةٍ عموما ليصل إلى نتائجَ معية[4] أي أن الأول عقلي بينما الثاني جدلي قائم على تبادل الآراء والأفكار للوصول الى نتائج يقبلها المتلقي، ذلك المتلقي الذي أولاه " **بيرلمان** Perlman **"** واسع الاهتمام، حيث اعتبره مستقبلا للرأي كما اعتبر أن أي

---

[1]-عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة لبيرلمان وتيتكاه ص 299 .

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-ينظر : فيليب بروتون وجيل جوتيه ، تاريخ نظريات الحجاج ، تر : محمد صالح ناحي الغامدي ، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز ، ط 1 ، جدة ،2011 ،ص 42 .

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مسألة مناقشٍ فيها يجب أن تخضع لاحتمالين احتمالُ فعل الحجاج نفسه (الرسالة الإقناعية) واحتمالُ معرفة من نُخاطب (المتلقي) يقول" بيرلمان Perlman ":" **إن معرفة أولئك الذين ننوي إقناعهم شرط مسبق لأي حجاج فعال**"[1].

لقد قام المؤلفان في كتابهما بالتمييز بين خطابين : خطاب إقناعي وهو يرمي إلى إقناع جمهور خاص وحجاج إقتناعي وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل [2] وهذا ما نمثله بـ:

الخطاب الإقناعـي : خطاب ⟵ جمهور خاص .

الخطاب الإقتناعي :المرء ⟵ نفســـــــه .

كما نجد أن **بيرلمان وتيتكاه** رفضا الفكر الديكارتي أو "**الكوجيتو**" القائل بفكرة " **أنا أفكر فأنا موجود** " فالحقيقة عند "**بيرلمان** Perlman " ليست من صنع الأنا الديكارتية وحدها وإنما يشترك في صنعها المتكلم وجمهور سامعيه فالجمهور عنده هو بمثابة الشاشة التي تسقط عليها الفكرة ليُتبينَ مدى صحتها ومدى صلابتها، فالحقيقة تقع خارج الذات وضامن الصحة فيها الواق والعمل [3] ،وهذا ما نعبر عنه بـ :

الأنا الديكارتية ⟵الحقيقة (الكوجيتو الديكارتي)

الأنا ⟵الحقيقة ⟵الجمهور (رأي بيرلمان)

إن " **بيرلمان Perlman** " في نظرته لتقسيمات أرسطو الثلاثية للخطابة والتي أوردناها في آرائه في ميدان الحجاج وأصوله التاريخية، نجد أنه –أرسطو– ربط الخطاب المشوري بالفلسفة ،والخطاب المشاجري بالجدل بينما عقل الخطاب الأفدوقطيقي* البرهاني بالأدب أو النثر الأدبي

[1]– فيليب بروتون وجيل جوتيه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 45.

[2]– عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص 301

[3]–المرجع نفسه ، ص 304.

*–يقصد بالخطاب الأفدوقطيقي الخطاب التثبيتي .

واشترط فيه أن يكون جميلا، والصواب فيما يرى المؤلفان " **أن النوع الأفدوقطيقي هو الواسطة بين جميع الخطابات** "[1] ،وهذا ما نمثله بالشكلين التالين :

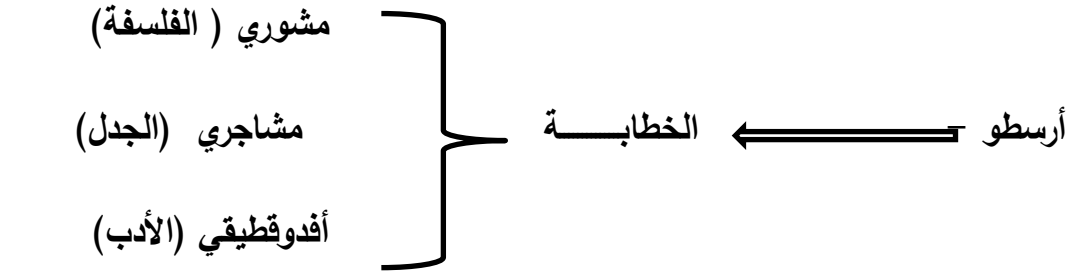

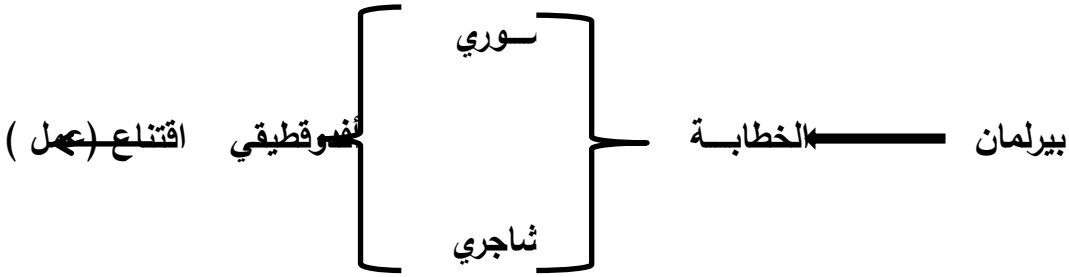

أما الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه فيختلف عن الخطابة وذلك من جهتين :

الأولى من حيث الجمهور : حيث أن جمهور الخطابة محصورٌ في مجموع المستمعين داخل الساحة ،بينما جمهور الحجاج كما يراه برلمان وتيتكاه يمكن أن يكون حاضرا أو غائبا ،كما يمكن أن يكون منشأ الحجاج بين شخصين اثنين متحاورين أو بين المرء ونفسه.

الثانية من حيث الخطاب : انحصر الخطاب الشفوي قديما في ميدان الخطابة وهذا ما لا نجده عند بيرلمان وتيتكاه، حيث يمكن أن يكون " **منطوقا كما يمكن أن يكون مكتوبا بل إنهما يلحان على المكتوب** "[2] ولا يكادان يأخذان أمثلتهما إلا مما هو مكتوب.

[1]–عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص305

[2]– المرجع نفسه، ص 306.

لقد أولى " **بيرلمان** Perlman" المخاطَب أهمية كبرى في العملية الحجاجية ،ذلك أن العملية الحجاجية هي عملية تفاعلية تقوم على مجموعة من العناصر هي " **المرسل والمستقبل والرسالة** "[1] والتي نوضحها بالشكل التالي:

المرسل ⟵ الرسالة ⟵ السامع

يعرف بيرلمان السامع المخاطَب بأنه " **المجموع الذي يحاول الخطيب التأثير فيه عبر حجاجه** "[2] ،ويعني هذا أن الخطيب عندما يوظف اللوغوس* الحجاجي ،فإنه يوظفه لغاية إقناع الغير أو دفعه للتسليم أو الرضى عن الحجة.

2-1-مقدمات الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه :

أ-الوقائع : تمثل الوقائع ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس ،إن الوقائع عند" **بيرلمان وتيتكاه**" هي بمثابة نقطة الانطلاق للحجاج ،وتنقسم إلى وقائع مشاهدة معاينة من جهة ،ووقائع مفترضة تفرض على الجمهور التسليم بها والتجاوب معها [3] .

ب-الحقائق : تقوم الحقائق على الربط بين الوقائع والنظريات العلمية أو الفلسفية أو الدينية ،وقد يعمد الخطيب الى الربط بين الوقائع والحقائق ليحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة مثل قولنا

الواقعة (أ) : هشام وأمين طلبا عملا خاصا وحين حصلا عليه أصبحا ثريين .

النظرية (س) :كل باحث عن الثراء يطلب عملا خاصا .

القضية (ب) : علي ثري لأنه حصل على عمل خاص .

---

[1]-جميل حمداوي ، نظريات الحجاج ، ص 28 www.alukah.net

[2]-المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

*- اللوغوس logos هنا يعني الفكر البرهاني الاستدلالي .

[3]-ينظر:عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص 307

جـ- الافتراضات :الافتراضات شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة ،ولكن الاذعان لها والتسليم بها لا يكون قويا حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى[1].

د-القيم :القيم هي التي تجعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء والقيم نوعان : " **قيم مجردة وقيم محسوسة ،والمجردة من قبيل العدل والحق ،أما المحسوسة فمثالها الوطن و المسجد** "[2] وغيرهما من الأمثلة .

هـ-الهرميات : الهرميات هي آلية تتدرج فيها القيم وهي نوعان :" **هرمية مجردة مثل قولنا العدل أفضل من النافع ومحسوسة مثل قولنا الإنسان أغلى درجة من الحيوان** "[3].

هـ-المعاني أو المواضع: تحدد المواضع خصائص فكرية أو أدبية كما تحدد خصائص أمة من الأمم بعينها. فتكون في مجموع العلوم أو تخص علما واحدا دون غيره من العلوم كمواضع الرياضيات ومواضع القانون وغيرها. إن المواضع هي الطرائق التي يستخدمها الخطيب طلبا للتصديق وهي أنواع:

-**مواضع الكم** : وهي المواضع التي " **تثبت أن شيئا أفضل من شيء لأسباب كمية** " [4] ،مثل قولنا : **العلم الكثير أفضل من العلم القليل** .

-**مواضع الكيف** : وهي ضد الكم من حيث أنها نسيج وحدها فهي واحدة ضد جمع ،وتستمد قيمتها من وحدانيتها تلك مثل قولنا : **الحقيقة التي يضمنها الله فهي واحدة في مقابل آراء البشر المختلفة** [5].

تعتبر المقدمات التي ذكرناها منطلقا للمحاجة، حيث يعتمد عليها الخطباء والكتاب لصياغة مجموعة من الحجج تكون قَيمِيةً مشتركةً بين أفرادِ الجماعة المعينةِ، غير أنه بعد

[1]- ينظر : المرجع السابق ، ص308

[2]- المرجع نفسه ، ص 310.

[3]- نفسه ، الصفحة نفسها.

[4]- ينظر : نفسه ، ص 311.

[5]- ينظر : نفسه ، الصفحة نفسها.

المقدمات يجب على الخطيب حسب بيرلمان وتيتكاه ان يتبنى مجموعة من العناصر التي تعرض الخطاب عرضا حجاجيا أجملناها في :

أ-عرض الخطاب عرضا بطيئا يحرك العواطف والانفعالات ؛

ب-اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها ؛

جـ-إيراد الحكايات الدائرة حول الموضوع ؛

د-دقة استخدام اللفظ في المقام ؛

هـ-استعمال الصيغ التعبيرية كالنفي وغيره من الصيغ ؛

و-استعمال أدوات الربط والاستئناف مثل (الواو ، أو ، لكن ، رغم ، أن ، لكن ..) ؛

ز-استعمال أسلوب الأمر والاستفهام والتمني ؛

حـ-استعمال الصور البيانية والمحسنات البديعية[1].

2-2 -أنواع الحجج عند بيرلمان وتيتكاه : لقد حاول مؤلفا" **مصنف في الحجاج** " حصر التقنيات الحجاجية في نوعين، نوع يقوم على الوصل مثل : الحجج شبه المنطقية التي تستمد طاقتها الحجاجية من مشابهتها للطرائق المنطقية ،والحجج المؤسسة على بنية الواقع التي تقوم على الحقائق والوقائع والافتراضات، كما نجد أن هناك حجج مُبَنيِنة للوقائع و تقوم على ترابطات قابلة للمشاهدة كالمَثل والتمثيل والشاهد والاستعارة والكناية [2].

[1]- ينظر : عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص 313.

[2]-ينظر : نفسه ، ص 325 .

أ-**الحجج شبه المنطقية:** تقوم الحجة الشبه منطقية " **على المثال القائل بأن أصدقاء أصدقائي هم أصدقائي** " [1]؛هذه الجملة لها صلة واضحة بالتعدية والتي نمثلها بالمعادلة التالية :

([(أ) في علاقة (ب)] و [(**ب**) في علاقة(ج)] **إذن** [(أ) في علاقة (ج])

تعتبر الحجة شبه المنطقية من الحجج الأكثر شيوعا في العصور القديمة وهذا راجع إلى ضعف العلم ذو الطابع الرياضي ،مما جعل أرسطو يوليها أهمية بالغة وهذا ما نجده في قياسه المضمر*.

تنضوي تحت الحجج شبه منطقية مجموعة من الحجج هي كالتالي :

- **التناقض والتنافر** :يقصد بالتناقض "**وجود قضيتين إحداهما نفي للأخرى**"[2] كأن نقول **محمد الأمين** يدرس ولا يدرس **أو هشام** يريد النجاح لكنه لا يدرس ،من خلال المثالين نرى أن القضية الأولى (أمين يدرس) تكون منافية ومناقضة للقضية الثانية (لا يدرس) وهذا ما عبر عند بيرلمان بالتناقض وعدم الاتفاق .

-**التماثل أو الهوية** : يفرض استعمال الحجاج استخدام التماثل باعتباره من الحجج الشبه منطقية ،وهو قائم على وجد المعرِف – بكسر الراء – والمعَرف بفتحها مثال قولنا : الرجل رجل و الأب يبقى دائما أبًا [3].

---

[1]– فيليب بروتون وجيل جوتيه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 47.

* ويُسمى قياس الضمير, وهو مكوَّن من مقدمتين ونتيجة، مثل قولنا: ما حكم الزكاة، فيجاب بأنها فرض، من خلال الإجابة نسكت لأننا ندرك ما هو مضمر في الإجابة؛ أي أن الفرض واجب في الشريعة الإسلامية.

[2]– فيليب بروتون وجيل جوتيه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 48.

[3]– ينظر : عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص 326.

-**قاعدة العدل والتبادلية** : ومثالها قوله صل الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، " **تقتضي قاعدة العدل معاملة واحد لكائنات أو وضعيات داخل مقولة واحدة** "[1] ؛أي تقوم على العدل والمساواة .

-**علاقة التعدية** : ومثالها **سننتصر لأننا الأقوى** أي أن هناك نتيجة مسكوت عنها تتمثل في الأقوى ينتصر، تعتمد علاقة التعدية على القياس وإعادة استرجاع الخاصية غير الملزمة للصيغة [2].

ب-الحجج المؤسسة على بنية الواقع : تقوم الحجج المؤسسة على بنية الواقع باستخدام الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلما بها [3]ومصدقةً من طرف المتلقي .

تُقسم الحجج المؤسسة على بنية الواقع حسب بيرلمان من خلال أدواتها الاتصالية أو الترابطية ،مما يولد لنا نوعين من الحجج هما :

- **الحجج المؤسسة على بنية الواقع من خلال الاتصال التتابعي** : والتي تكون بين ظاهرة ومسبباتها مثل قولنا : **سقطت الأمطار في تيزي- وزو نتيجة تراكم السحب** .

-**الحجج المؤسسة على بنية الواقع من خلال الاتصال التواجدي** : يقوم الاتصال التواجدي على العلاقة بين الشخص وأعماله ،أو بين الجوهر وتجلياته [4] كقولنا **هشام عظيم باعتبار أن أباه وزيرٌ.**

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 327.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 330.

[3]- ينظر : نفسه ، ص 331

[4]- ينظر : نفسه، الصفحة نفسها.

يكمن الفرق في المثالين التاليين في أن التتابع الزمني في المثال الأول ضروري ؛لأن سقوط الأمطار يعتبر نتيجة حتمية لتراكم السحب ، بينما عظمة هشام لا ترتبط بالضرورة بمكانة والده.

جـ- الحجج المؤسِسة لبنية الواقع : لقد قام "**بيرلمان** Perlman " في نظريته للحجة ببناء حجج تقوم على خلق الروابط وتشكيلها، ومن هذه الحجج الحجة المؤسسة لبنية الواقع، ونحن عندما نتكلم عن الرابط فإننا لا نقصد به ذلك الرابط اللغوي بل رابط معنوي يؤسسه الخطيب، ويحاول تقديمه في صورة ملائمة متحملا نجاحه أو فشله في العملية الإقناعية. يميز بيرلمان بين نوعين من الروابط التي تؤسس الواقع : " **فمن جهة هناك استدعاء الحالة الخاصة كالمثل والتمثيل والنموذج ، ومن جهة أخرى هناك الاستدلال بالمماثلة والقائم على المماثلة والكناية** "[1]، من خلال القول نلاحظ أن بيرلمان وتيتكاه قسما الحجج المؤسسة لبنية الواقع إلى :

-**المَثَل :الحجاج بالمثل يتمثل في قولنا السابق :** علي ثري لأنه يطلب عملا خاصا يعتبر هذا القول قاعدة خاصة نأتي بأمثلة تدعمها من قبيل إتياننا بمثال أمين وهشام.

-**التمثيل***: يعتبر التمثيل حجة مؤسسة لبنيية الواقع فهو حسب بيرلمان وتيتكاه أداة برهنة ذات قيمة حجاجية[2]، وهو ما يوضحه قوله تعالى :**{ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّـهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}**[3]، نجد في الآية الكريمة مجموعة من العناصر نوضحها بـ :

أ-المشركون ، ب- أولياؤهم ، جـ-العنكبوت ، د- بيتها

[1]- فيليب بروتون وجيل جوتيه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 52.

* يشبه التمثيل في نظرية بيرلمان وتيتكاه التشبيه في البلاغة العربية

[2]- ينظر : عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص 339.

[3]- سورة العنكبوت ، الآية 41.

يعتبر (أ) و (ب) في الآية الكريمة بمثابة "**الموضوع**" ، أما (ج) و (د) فيعتبران بمثابة **الحامل** أي الذي يحمل،وقد جرت العادة أن يكون الحامل أكثر شهرة من الموضوع ليبين بنيته العلائقية. [1]

إن التفاعل بين الأطراف ليشتد ويلطف أحيانا فيصبح استعارة ،ومعنى هذا أن الاستعارة مشتقة من التمثيل ومُنطَلَقُه عند بيرلمان .

-**النموذج** : يعتبر النموذج أو القدوة بمثابة القيمة التي تفرض غلينا القبول والتسليم بها ،وهذا ما نوضحه بالمثال التالي :**عندما كان نابليون في سننا كان امبراطورا** يعتبر نابليون بمثابة النموذج الذي يحمل قيمة متعالية تفرض علينا التسليم بها وقبولها حسب بيرلمان. [2]

-**الكناية** :لا يعتبر " **بيرلمان** Perlman " الكناية صورة أسلوبية وإنما ينظر إليها " **كحجة وذلك عكس ما تقوله التقاليد الأدبية ،إنها تنبني كما يقول على شاكلة التمثيل** "[3] ؛أي هي اندماج بين الموضوع والمثيل .

د- الفصل بين المصطلحات: تدور التقنيات الحجاجية الثلاث حول بنية الواقع أو تأسيسه أو إيجاد رابط موجود في الواقع ،والتقنية الرابعة التي اقترحها بيرلمان هي الفصل بين المفاهيم ،والفصل يقتضي وجود وحدة بينها ومفهوم واحد لها في عناصر عائدة الى اسم واحد يعنيها، وإنما وقع الفصل بينها لأسباب حجاجية تقوم على كسر وحدة المفهوم بسبب الثنائية : الظاهر- الواقع [4]؛ بمعنى أن كل شيء له حدان ظاهر زائف وواقع حقيقي .

من خلال كل ما سبق يتضح لنا أن الحجاج عند **بيرلمان** Perlman و**تيتكاه** Tyteca لم يخرج عن نطاق البلاغة الأرسطية؛ ذلك أن بلاغة صاحبا "**مصنف في الحجاج**" انطلقت من أرضية بلاغية كانت قائمة منذ العصور القديمة، إنها بلاغة التأثير والإقناع ،بَيْدَ أنهما -**بيرلمان وتيتكاه**- اهتما بالمخاطَب **- الجمهور -** والمقام وأبعادهما النفسية والفكرية.

[1]- ينظر : عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص 339.

[2]- ينظر : فيليب بروتون وجيل جوتيه ، تاريخ نظريات الحجاج، ص 54.

[3]- فيليب بروتون وجيل جوتيه ، تاريخ نظريات الحجاج ،ص56 .

[4]- ينظر : عمر بلخير ، مقدمات في الحجاج والنص ، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ، د ط ،تيزي وزو، الجزائر ،2001، ص 17.

3-نظرية المساءلة لميشال ماييير: يتحدد الحجاج عند " **ميشال ماييير** Michel mayer "من خلال نظرية المساءلة ،التي تقوم على أركان تُستقى من طبيعة الكلام ووظيفته القائمة حسبه – ماييير – على السؤال والجواب [1] ،الذي بطبيعة الحال يفضي الى التحاور والنقاش وهذا ما نعبر عنه بالشكل الآتي :

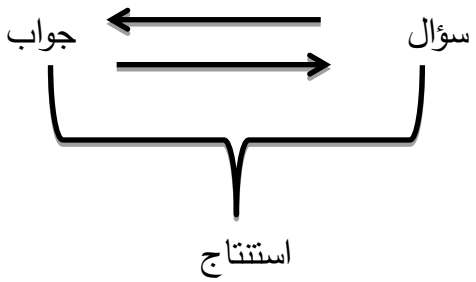

إن الحجاج عند " **ميشال ماييير**" " **نتيجة حتمية لنقاش بين طرفين ،يؤدي إلى التسليم بأمر أو موقف** "[2] كان مَرَدَ أَخذٍ وعطاء بين مرسَل ومرسَل إليه، قائمٌ على فرضية السؤال والجواب ، لقد تطرق " **ماييير**" إلى مسألة المصرح به والضمني؛ فالمصرح به هو " **ظاهر السؤال أما ما هو ضمني فهيَ تلك الامكانَات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد** "[3] ،والمقصود هنا أن الكلام المصرح به هو السؤال المطروح أما الضمني فهو الإجابة المنتظرة ؛أي أن السؤال يحمل في طياته مفهوما واحدا يكون ظاهرا في نصه، أما الإجابة فإنها تكون على عدة أوجه وهذا ما يعبر عنه بالتأويل أو المجاز ربما وبالتالي يؤدي إلى تمازج نظرية ميشال ماييير مع أعمال بيرلمان ،فما هي الأسس البلاغية والخطابية التي قامت عليها نظرية ماييير؟

أ-**الأسس البلاغية** :اهتم " **ميشال ماييير**" بالصور البلاغية وأولاها عناية خاصة فهو يعتبرها " **صورا قادحة للخيال ومعبرة عن الأهواء الإنسانية** "[4] ،والمتفحص للتاريخ الإنساني

[1]- ينظر: محمد علي القارصي ، من خلال نظرية المساءلة لميشال ماييير ضمن كتاب نظرية الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم ، ص 394.

[2]- المرجع نفسه ، ص397.

[3]- نفسه، ص 394-395

[4]- نفسه، ص 395

سيلحظ ذلك التباين في طرح الأفكار كل حسب تصوره الخاص وحسب ما تمليه عليه أهواءه وميولاته والمقامات التي وُجد فيها.

انطلق **ميشال ماييير** في دراسته للصور البلاغية من المجاز ،حيث عده عنصرا رئيسيا في العملية التواصلية ،فهو " **يخلق المعنى ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهَة نظره ،وهو إلى ذلك تعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صور من الإنسان مثلما يكون المجاز صورة من الأسلوب**"[1] ؛أي أن المجاز هو الصورة التي يصنعها المتكلم للتعبير عن مكنونات نفسه بطريقة مُقَنَّعَةٍ اختارت المجاز سبيلا لها .

إن الصور البلاغية حسب " **ميشال ماييير**" هي مزيج بين الحجاج ونظرية المساءلة ؛ذلك أن الصورة البيانية إذا ما طرحت في الخطاب فذاك يعني أن سؤالا طُرح فيه والسؤال يستدعي بالضرورة جوابا يستفهم السامع ويدعوه إلى الإجابة عن السؤال المطروح وتتأتى الإجابة بتجاوز ظاهر اللفظ الحامل ،فالجواب سؤال في حد ذاته، " **لأنه يحدد وجها واحدا من الجواب وتبقى بقية الوجوه متعلقة بأسئلة جديدة تطرح** " [2] ؛أي أن الصور البلاغية إذا ما وضفت في خطاب معين فإنها لا تتمظهر بصورة صحيحة بل بصورة ضمنية توجب على المتلقي أن يتساءل عن وجه التقارب بين نص الخطاب والصورة البلاغية ومثال ذلك قولنا : هشام أسد فمن خلال هذا المثال يظهر لنا ذلك البعد بين ظاهر الجملة والحقيقة التي يريد السامع الوصول إليها ، فهشام يختلف عن الأسد مما يفرض على السامع طرح تساؤل يقوم على البحث عن العلاقة التي تجمع بينهما، فإذا ما عرف أنها علاقة ضمنية تتمثل في صفة الشجاعة أيقن سبب توظيف الصورة وهذا ما نوضحه بالشكل التالي :

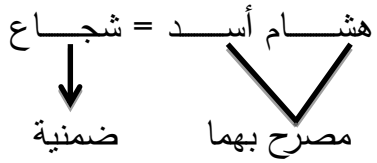

[1]– محمد علي القارصي، من خلال نظرية المساءلة لميشال ماييير ، ص 395 .

[2]– المرجع نفسه، ص 396

ب-الأسس الخطابية : انطلق "**ميشال ماييير**" في دراسته للخطابة و علاقتها بالحجاج من نظرية أرسطو التي تناول فيها **الإيتوس** (الأخلاق) و **الباتوس** (الانفعالات) و**اللوغوس** (الخطاب) بيد أنه أعاد صياغة العناصر الخطابية السالفة الذكر في ثلاثة أركان أساسية هي الأخلاق و السؤال و الجواب[1] ،فالأخلاق حسب "**ميشال ماييير**" تكون متعلقة بالمتكلم أما السؤال و الجواب فهما متعلقان بالرسالة أو باللوغوس ،و الحجاج مرتبط حسبه بالأخلاق المنضوية داخل الخطاب والممثِّلَةِ للمتكلمِ في حد ذاته ؛ذلك أن الإعلاء من شأنه (المتكلم) و إحلاله محل العارف المتيقن يكسب الخطاب مصداقية و نجاعة ،كما يَحمل المخاطب على تصديق ما جاء به : فقولنا مثلا إني ملم بالأدب هو حجة بينة يستقيها المخاطَب من لفظةِ إني عارف و التي تعتبر حجة شخصية في حد نظرنا تدعم العبارة و تعطيها مصداقية أكثر.

كما وجب علينا أن لا نغفل دور السؤال و الجواب كصيغتين حجاجيتين نظر لهما **ماييير** وجعلهما موطني اتفاق أو اختلاف بين المتكلم و المخاطب ،" **إن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف ويباعد المسافة بين المتكلم والمخاطب حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما ،كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف ويقرب المسافة بينهما إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم** "[2] ،فالمتكلم حين لا يوافق المخاطب على جواب معين فإنه يوظف سؤالا اخر على السؤال الأول ،كما يمكنه (المخاطب) أن يتفق مع المتكلم و يقر بما يطرحه عليه من أجوبة .

من خلال ما سبق يتضح لنا جليا أن الحجاج عند "**ميشال ماييير**" مرتبط بركنين متظافرين ؛ركن البلاغة ومجازها وركن العلاقات الخطابية القائمة على الاختلاف والاتفاق في إطار عقلي أراده ماييير أن يكون منضويا تحت الفلسفة والكلام الحامل لنظريته المساءلة حسبه .

4-الحجاج من منظور منطقي : يُعتبر " **تولمين** Toulmin " أو فيلسوف المعرفة كما يطلق عليه أحد الفلاسفة الأنجلوسكسون، تنتمي بيئته النظرية أو المفهومية للوضعية

[1]-ينظر: المرجع السابق، ص 399

[2]- نفسه ، ص 400.

المنطقية* ، ونحن عندما نتحدث عن تولمين فإننا نتحدث عن معارض لتلك الوضعية السائدة من خلال تطويره لنظريةٍ في الحجاج " **التي يتضح مفهومها من خلال بحثه المقدم في سنة 1958م والمعنون بـ : استعمالات الحجة The uses of argument ، الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجية في الاستخدام العادي للغة**"[1] وعرض ذلك بعدة رسوم بيانية على ثلاث مراحل على النحو التالي :

الرسم الأول : وفيه نجد الرسم الحجاجي ذا ثلاثة أركان أساسية هي المعطى **(م)** والنتيجة **(ن)** ، والضامن (ض) ويصاغ على النحو الآتي :

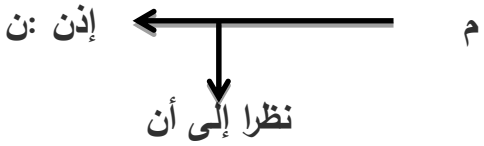

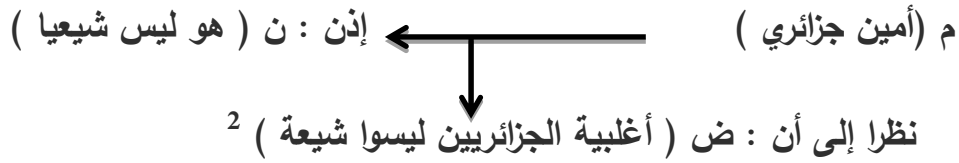

[2]

الرسم الثاني : وهو تدقيق للرسم السابق بأن أضيف له عنصران هما : الموجه ونصطلح عليه بـ : (ج) ، وعنصر الاستثناء (س) الذي يمثل شروط رفض القضية[4] فأصبح كالتالي:

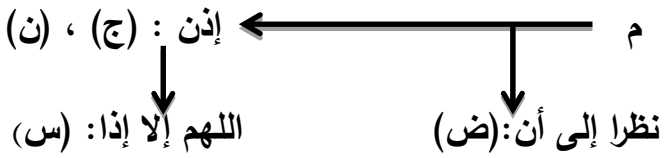

---

*–المنطق الصوري هو المنطق الأرسطي ، و سمي بذلك لأن صحة الاستدلالات أو سقمها من وجهة نظر هذا العلم تبتني على صورة القياس والاستدلال من الأشكال الأربعة المبحوث عنها في المنطق ، لا على مادته من القضايا التي تشكل القياس المنطقي .

[1]– خليفة بوجادي ،في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ،بيت الحكمة ، ط 2، الجزائر 2012 ، ص 87.

[2]–ينظر : عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، منشورات كلية الآداب والإنسانيات ، ط1، تونس ، 2001، ص 22 .

[4]–المرجع نفسه ، ص 23.

مثال :

م (أمين جزائري) ← إذن:ج (من شبه المؤكد) ن (أنه ليس شيعيا)

نظرا إلى أن: ض (أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة) اللهم إلا إذا س:(تشيع أثناء دراسته في إيران)[1]

الرسم الثالث: يمثل الرسم الثالث حجاجا أكثر دقة ، بإضافة عنصر الأساس (أ) الذي يبنى عليه الضمان فيكون على النحو :

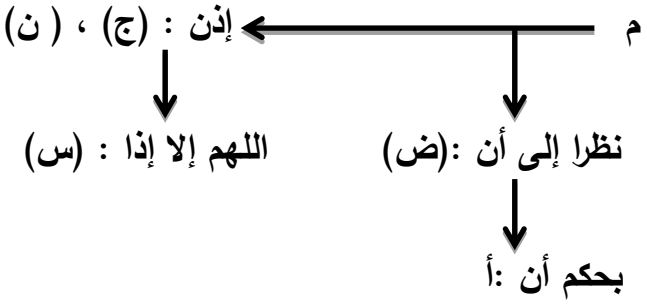

ومثاله :

م (أمين جزائري) ← إذن:ج (من شبه المؤكد) ن (أنه ليس شيعيا)

نظرا إلى أن :ض (أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة) ← اللهم إلا إذا س:(تشيع

بحكم أن :(نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في الجزائر)[2] أثناء دراسته في إيران)

من خلال الرسوم السابقة يتضح لنا أن الحجاج عند" **تولمين** Toulmin " برهاني منطقي أكثر منه حجاجي بلاغي؛ ذلك أنه –**تولمين**– في اعتماده للضامن لم يكن

[1]–ينظر : خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 88.

[2]–ينظر : نفسه ، ص 88– 89.

هدفه الحجاج قدر ما كان هدفه البرهنة المنطقية العملية وليس الصورية التي تُبنى على مجموعة من المعطيات المنطقية الواقعية، كما أنه –تولمين– لم يُعطِ الجمهور حقه في العملية الحجاجية بقدر ما أولى أهمية كبرى للحجج و البراهين المستعملة في العملية البرهانية أو المنطقية العملية وليس الحجاجية حسب نظرنا.

5–الحجاج من منظور لغوي : تنطلق نظرية الحجاج في اللغة التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي " **أزوالد ديكرو** Oswald Ducrot " مع صديقه "**جان كلود أنسكومبر**-jean claude. Anscombre " من العبارة الشائعة "**أننا نتكلم بقصد التأثير**" [1] ،فاللغة حسب ديكرو تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية نستقيها من الأقوال نفسها .

إن الإطار العام الذي توضع فيه نظرية "**ديكرو**" و**أنسكومبر**" هو إطار إعادة النظر في الاعتقاد القائل بوجود تعارض بين علم الدلالة والتداولية أو ما يصطلح عليه "**بالتداولية المندمجة** "[2] حسب ديكرو، هذه الأخيرة التي تأسست على تداوليات "**أوستين** Austin " و"**سورل** Searle " اللَذَيْنِ وجب علينا التطرق إليهما كمنظرين لنظرية الأفعال الكلامية ولو بصورة مختصرة قبل الولوج إلى نظرية "**ديكرو**" و**أنسكومبر**" اللغوية.

أ–نظرية أفعال الكلام : تعتبر نظرية أفعال الكلام نمطا من أنماط التداولية يعود الفضل في تأسيسها الى الفيلسوف الانجليزي " **أوستين**" ،الذي رأى أن وظيفة اللغة لا تقتصر على إيصال المعلومات فقط والتعبير عن الافكار بقدر ما هي تحويل للأقوال التي تُحَوِلُ إلى أفعالٍ ،فالاستعمال اللغوي حسب أوسيتن " **ليس إبراز منطوق لغوي فقط ، بل إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه**"[3] ؛أي أننا ننجز أعمالا عندما نتكلم سواء تعلقت هذه الأعمال بالعلاقة القائمة بين المتكلم والسامع أو بين المتكلم والجماعة التي يخاطبها.

[1]– أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، العمدة للطباعة والنشر ، ط1 ،الدار البيضاء ، المغرب ، 2006، ص8.

[2]– عمر بالخير ، مقدمات في الحجاج والنص ، ص 24

[3]–خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 72.

لقد حاول "**أوستين**" تقسيم الجمل الى قسمين : جمل وصفية (خبرية) تحتمل الصدق أو الكذب فهي "**صادقة إذا كان الوضع التي تصفه قد تحقق في الكون، وهي كاذبة بخلاف ذلك**" [1] ،مثل قولنا : **هشام وأمين بصدد كتابة كتاب** ،تتحد صدقية أو كذب هذه الجملة حسب "**أوستين**" من خلال صدور الكتاب ،فإذا صدر فهي جملة صادقة وإذا لم يصدر فهي جملة كاذبة ،بَيْدَ أن "**أوستين**" لاحظ أن هناك جملاً لا تتأسس على معيار الصدق والكذب بل يحكمها عامل الإخفاقِ والتوفيق وهي ما عبر عنها **بالجمل الإنجازية** والتي يتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها[2] ،وتنقسم الى قسمين :

-**إنجازية صريحة (مباشرة):** فعلها ظاهر (أمر ، حض ، دعاء ، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب الى المتكلم[3] ،مثل قولنا : **آمرك بالنجاح** أو قولنا : **لا تأت غدا** .

-**إنجازية ضمنية (غير مباشرة):**فعلها ظاهر ، نحو : **أقول الاجتهاد مفيد** أي **آمرك أن تجتهد**[4] ،وميز فيها بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية :

فعل القول :وهو الفعل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء[5]، سواء كان تلفظا صوتيا أم تركيبيا أم دلاليا .

فعل إنجازي :يحصل " **بالتعبير عن قصد المتكلم من آدائه** " [6] ، نحو: الوعد والإخبار والإعجاب..الخ

فعل تأثيري : وهو العمل أو الفعل الذي يتحقق نتيجة شيء ما [1]،ولتوضيح المسألة حول الأفعال الثلاثة نورد مثال أب يأمر ابنه الصغير بغسل أسنانه فالأب وهو يقول: " **نظف**

---

[1]–آن روبول وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، تر : سيف الدين دغموس ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط 1، بيروت لبنان ، 2003 ، ص 30.

[2]–ينظر: خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص77.

[3]– ينظر:المرجع نفسه ، ص 78 .

[4]– ينظر:نفسه ، الصفحة نفسها.

[5]–ينظر: آن روبول وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص31 .

[6]– خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 78.

أسنانك ينجز عملين بصفة متزامنة فهو ينجز فعلا قوليا يتمثل في نطقه بجمله " نظف أسنانك " وينجز فعلا متضمنا في القول يتمثل في أمر ابنه بتنظيف أسنانه والابن عندما يجيب بطريقة لا تتماشى مع نص الأمر الذي صاغه والده حينما يجيبه قائلا لا أشعر بالنعاس ، حيث يقنع والده بأنه ما زال لم يشعر بالنعاس وبالتالي لم يحن بعد وقت تنظيف الأسنان "[2] ،والتي تعتبر وظيفة إقناعية في حد نظرنا .

كما قام أوستن بالتمييز بين خمسة أفعال :"**أفعال حكمية** " من قبيل الحكم والوعد والوصف ، و"**أفعال تمرسية**" كإصدار القرارات والأمر وغيرها ،و"**أفعال التكليف**" كالوعد والتمني و"**الأفعال التعبيرية**" والتي تقتصر على عرض مفاهيم منفصلة (أكد ، أنكر أجاب ، وهب) ،أما "**أفعال السلوكات**" أو الإخباريات فهي ردود أفعال أو تعبيرات تجاه سلوك معين (اعتذر ، هنأ ، حيى ، رحب ..) [3] ،لقد حاول أوستين من خلال تقسيمه هذا أن يبين أن وظيفة اللغة لا تقتصر على الجانب الدلالي فقط بل تتعداها الى الجانب التداولي الفعلي أو العملي (الإنجازي) وهذا ما وافقه فيه تلميذه سيرل وحاول توضيحه أكثر .

انطلق "**سيرل**" من نظرية أستاذه " **اوستين** " ، بيد أنه اهتم بمحاولة منهَجةِ نظرية أفعال الكلام ، وذلك حينما قام " **بتحديد الفعل الإنجازي واقتراحه بعض التعديلات التي طورت نظرية أفعال الكلام وبينت شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى وآليات ذلك وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود** " [4]،ومثال ذلك قول الأستاذ للطالب في القسم " **تركت باب القسم مفتوحا** " يخضع الى جملة من الآليات حسب سيرل، منها :

-إن الضجيج في الرواق ،ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ⟵ أمر .

-القسم مكيف ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ⟵ طلب .

---

[1]-ينظر: المرجع السابق ، ص 78.

[2]- آن روبول وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 32.

[3]-ينظر : خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ،ص78 -79.

[4]-المرجع نفسه ، ص 80 .

-من غير الأدب أن تترك الباب مفتوحا ⟵ عتاب .

كما قام "**سيرل**" بإعادة تقسيم الأفعال الكلامية وميز بين أربعة أقسام :

فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي) مثل قولنا : أعدك أن آتي غدا، فهذه الجلمة هي مجموعة من الأصوات تربطها رابطة تركيبية حتى تحمل معنى معين.

الفعل القضوي : وهو الذي يقتضي من المخاطب إنجاز فعل (الحضور) في المستقبل (غدا) [1] ،كما هو موضح في المثال السابق.

الفعل الإنجازي والفعل التأثيري: وهما الفِعْلَيْن اللذَيْنِ وضحناهما سابقا في مثال الأب الذي يأمر ابنه بتنظيف أسنانه (عند أوستين)

ليقترح لهذا التقسيم خمسة أصناف[2] نوضحها بالشكل التالي:

[1]-ينظر: المرجع السابق ، ص 80.

[2]-ينظر : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، د ط ، الإسكندرية مصر 2002 ، ص67-70.

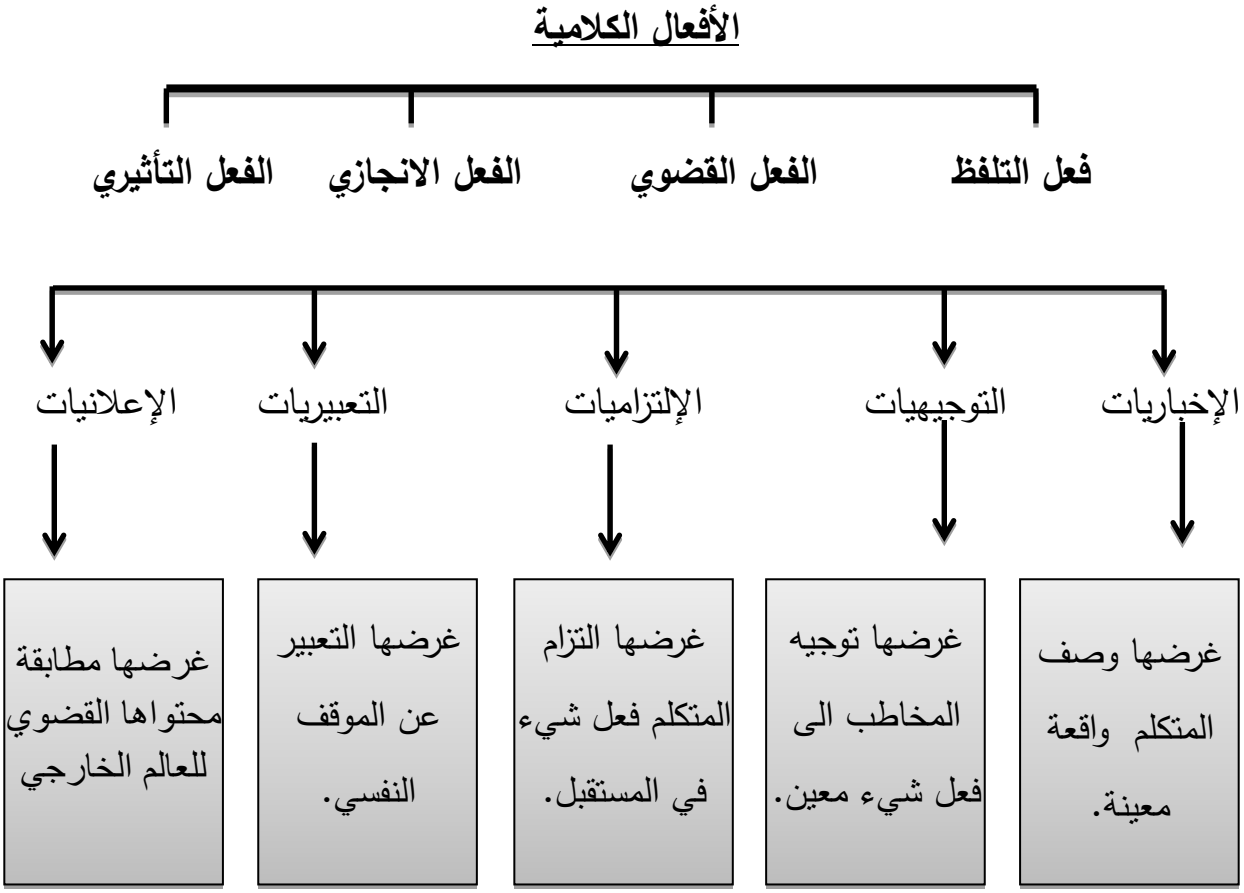

إن المتمعن للأفعال الكلامية سواءٌ عند سيرل أو عند أوستين ، سيلحظ ذلك الترابط بين ما قدمه كل منهما، وبين ما أتى به اللغوي الفرنسي أزوالد ديكرو Oswald Ducrot ،فالفعل الكلامي هو تفاعل بين مخاطَب ومخاطِب أو بين مرسِل ومتلقي يحاول أحدهما إقناع الآخر والتأثير فيه ،ولو عدنا إلى مثال " **الوعد** " لوجدنا أن الوعديات كغيرها من الأغراض تحمل في طياتها حجة مجسدة في كلمة " **أعدك**" ،فالمتكلم في محاولته إقناع المتلقي بمحتوى خطابه يستعمل الحجاج خاصة في الأفعال الإنجازية ؛فنجاح الفعل أو فشله رهين بمدى صلابة الحجة ومتانتها ،وهنا تلتقي نظرية أفعال الكلام مع النظرية الحجاجية، وهذا ما حاول اللغوي الفرنسي "**ازفالد ديكرو Oswald Ducrot**" التطرق إليه والبحث فيه منطلقا في ذلك من أعمال سيرل

وأوستين في نظريتهما التداولية، فما هي جهود ديكرو في ميدان التداولية وكيف مزج بينها وبين الحجاج؟

ب-التداولية المدمجة: تتأسس نظرية **ديكرو Ducrot وانسكومبر Anscombre** على رفض الفصل بين الدلالة والتداولية؛ ذلك أن مجال البحث عندهما هو الجزء المدمج في الدلالة، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن[1]؛ أي أن التداولية المدمجة تنطلق من البحث في إطار اللغة وفي البنية اللغوية نفسها دون الاهتمام بما هو خارجها، "**فترابط الأقوال هو ترابط حجاجي لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفته علاقة توجه القول وجهة أخرى وتفرض ربطه بقول دون آخر**"[2] وهذا التوجيه هو الذي يمكننا من البحث عن الترابطات الحجاجية الموجودة في بنية اللغة نفسها.

على هذا النحو فإن التداولية المدمجة هي "**بحث في القوانين التي تحكم الخطاب داخليا لاكتشاف منطق اللغة**"[3] ،أما الحجاج في التداولية المدمجة فهو " **أن يقدم المتكلم قولا (ق1) موجه الى جعل المتكلم يقبل قولا آخر (ق2) سواء أكان ضمنيا أم صريحا**"[4] ، فالحجاج عند "**ديكرو واسكومبر**" هو "**إنجاز لعمليتين : عمل صريح بالحجة من ناحية ، وعمل بالاستنتاج من ناحية أخرى** "[5] ،أي أن الحجاج عندهما ينطلق من داخل بنية اللغة نظرا لما تحمله من خصائص حجاجية تمكنها من إيصال محتواها إلى المتلقي.

كما يميز "**ديكرو و انسكومبر**" بين عملين عمل المحاجة وعمل الاستدلال الذي ينطلق من العلاقة بين الحجة (ق1) والنتيجة (ق2) ، كما أن تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس

---

[1]-ينظر: شكري المبخوت ، الحجاج في اللغة ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 360-361.

[2]-المرجع نفسه ص 352.

[3]-نفسه ، ص 352.

[4]-خليفة بوجادي،في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 89.

[5]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مؤسسا على الأقوال نفسها ، ولكنه مؤسس على القضايا المتضمنة فيها[1] عكس الحجاج الذي نجده مؤسسا على الأقوال فقط ولتوضيح المسألة نصوغ المثالين الآتيين:

أ - اتصل هشام سيأتي غدا (ق1)

ب - إذن أنت سعيد (ق2)

من خلال (ق1) و (ق2) نستنتج أننا أمام استدلال لأن العلاقة بين الحجة في (أ) تستند إلى النتيجة في الجملة (ب).

أما المثال الثاني : أنا متعب (ق1) ، إذن أنا بحاجة إلى الراحة (ق2) ،فلو نظرنا إليه لوجدنا أنه يتألف من حجة (ق1) ونتيجة (ق2)، فالتعب حجة للشخص تدعوه الى الركون إلى الراحة ،وهي –الحجة– حسب هذا التصور الجديد عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر[2] يتم استنتاجه ربما .

جـ–السلالم الحجاجية: تتأسس نظرية السلالم الحجاجية عند ديكرو على مجموع العلاقة الترتيبية للحجج (أ ،ب ،ج..) في مسار محدد يصل بنا إلى نتيجة (ن) معينة ،وللوصول إلى هذه النتيجة وجب علينا ترتيب الحجج حسب " **ديكرو**" بشكل يعلو بعضها عن بعض ،وهذا يأتي طبقا لقوة تلك الحجج وتفاوت قوتها التبليغية والتأثيرية من حيث تدرجها من الأضعف إلى الأقوى ،في إطار ما يسمى **السلم الحجاجي** الذي هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال ،مزودة بعلاقة ترتيبية متسمٌ بالشرطين التاليين :

–كل قول يرد في درجة من السلم ،يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة (ن) .

[1]–ينظر:حمو النقاري ، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ط1 ، الرباط ، 2006ص57.

[2]–أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، ط1 ، المغرب ، 2006، ص 57.

– إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النتيجة (ن) ، فهذا يستلزم أن (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها ، والعكس غير صحيح [1] فقولنا :

أ–أمين حصل شهادة البكالوريا.

ب–أمين حصل شهادة الماستر.

جـ–أمين حصل على شهادة الدكتوراه

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي الى نفس الفئة الحجاجية ،وكلها تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي الذي يؤدي الى نتيجة مضمرة هي كفاءة أمين والتي نمثلها بالسلم الآتي[2] :

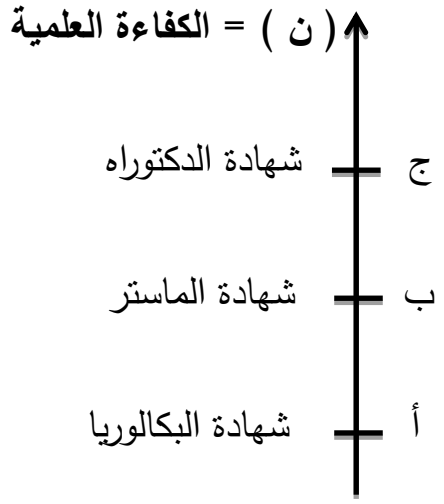

نستنتج مما هو مقدم في المثال السابق أن السلم الحجاجي الوارد يتكون من ثلاث حجج (أ ،ب ،ج) تدعم النتيجة (ن) ،وأن هاته الحجج متفاوتة من حيث قوتها حيث أن (ج) أقوى من (ب) و(ب) أقوى من (أ) لتدعم نتيجة واحدة ممثلة في كفاءة أمين.

كما جعل ديكرو للسلم الحجاجي ثلاثة قوانين هي :

[1]–المرجع نفسه ، ص 21.

[2]–ينظر : أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، ص21

1-قانون النفي :يتمثل قانون النفي في استخدام متكلم معين حجة (أ ،ب) قصد إثبات ننتيجة (ن) ما ، فإذا نفينا الحجة (أَ ، بَ) فإننا بذلك ندعم النتيجة (لا- نَ) المضادة [1] ولتوضيح قانون النفي نصوغ المثال التالي :

-هشام مجتهد ، لقد نجح في الامتحان

نفيها : هشام ليس مجتهدا ، إنه لم ينجح في الامتحان.

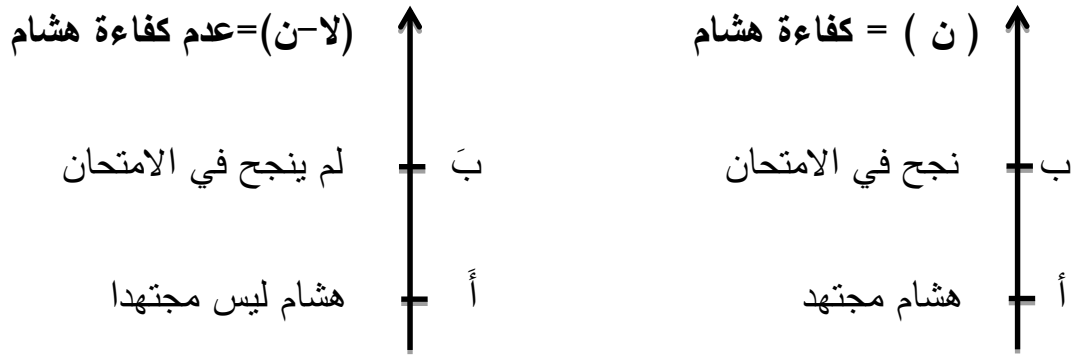

2-قانون القلب : يعتبر قانون القلب تتمة لقانون النفي ،بيد أنه يقوم على الحجة (أ ،ب) ونقيضها ،كما أن السلم الحجاجي في قانون القلب ينطلق من نقيض الحجة (أ)، ثم نقيض الحجة الثانية الأقوى ليصل إلى نتيجة مضادة (لا-ن) [2]وهذا ما نوضحه بالقول :

-حصل أمين على الدكتوراه ، بل حصل على الماستر.

-قلبها : لم يحصل أمين على الماستر ، بل لم يحصل على الدكتوراه

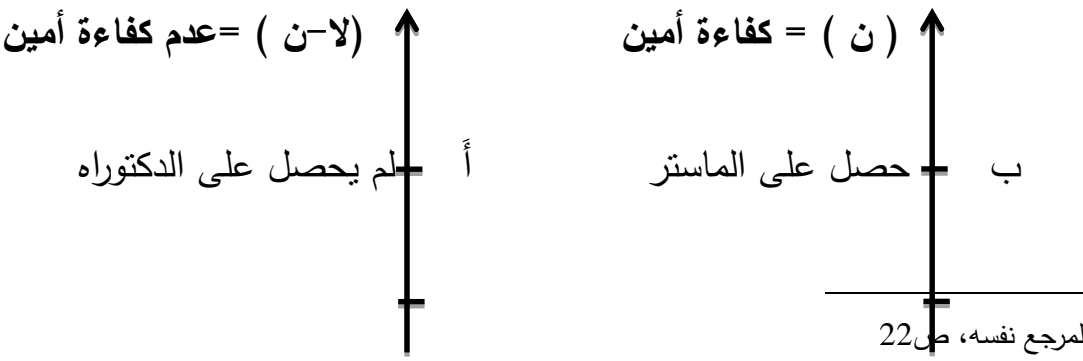

[1]- ينظر : المرجع نفسه، ص22

[2]- ينظر : أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ص23.

أ حصل على الدكتوراه بَ لم يحصل على الماستر

3-قانون الخفض :يقوم قانون الخفض على العبارة القائلة بأنه " **إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها** "[1] ومثال ذلك قولنا أن: الجو ليس باردا تعني أن البرد ليس قارصا ،وليس شديدا ،وهذا ما نوضحه بالسلم الحجاجي التالي :

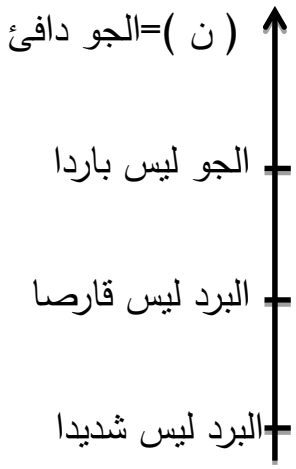

من كل ما تقدم حول نظرية السلالم الحجاجية عند ديكرو وانسكومبر نستنتج أن الباحثَيْن جعلا للحجج مسارا تصاعديا تصنف فيه حتى تصل بنا الى نتيجة معينة .

د-الروابط والعوامل الحجاجية : تمتاز اللغة بأنها ذات إمكانيات متنوعة تساهم في نجاح العملية التواصلية بين المرسل والمتلقي ،كما أنها تحمل دلالات حجاجية تسهم مجموعة من الآليات في تأطيرها ،ومن هذه الآليات نجد ما اصطلح عليه "**ديكرو وانسكومبر** " في نظريتهما بالروابط والعوامل الحجاجية ،التي تكمن مهمتها في الربط بين وحدتين أو بنيتين لغويتين ،كما أنها تساعد على "**تحقيق إحدى وظائف اللغة وإتمام اللعبة الحجاجية** "[2] ؛ذلك أنها تساهم في توضيح المعنى وتقليص اللبس والغموض .

[1]-المرجع السابق ، ص24

[2]-عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، مكتبة علاء الدين ، ط 1 ، صفاقس ، 2011 ، ص 16.

لقد قام " **ديكرو وانسكومبر**" في دراستهما للعوامل والروابط الحجاجية بالتميز بين نوعين من تلك المكونات اللغوية ، النوع الأول يربط بين الأقوال أو يكون داخل الجملة نفسها مثل الحروف (الفاء ،والواو ،لكن، إذن..) ويسميه الباحثان الروابط الحجاجية والنوع الثاني هو ما يكون داخل الخطاب من عناصر مثل (الحصر ، النفي ، الاستدراك..) أو تركيبي مثل (منذ تقريبا ، على الأقل) وسمياه العوامل الحجاجية [1].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الروابط الحجاجية هي مكونات لغوية تختص بالربط بين عناصر الكلام كقولنا : **أتى هشام وأمين لكن محمدا لم يأتِ،** أما العوامل الحجاجية فمجال اختصاصها متعلق بالجملة كلها أو مجموع الجمل؛ مثل إدخال أسلوب الحصر أو النفي عليها كقولنا : **ما نجح من الطلبة إلا هشام .**

6-الحجاج في الدرس العربي المعاصر:

-**الحجاج عند طه عبد الرحمن:** يتأسس الحجاج عند "**طه عبد الرحمن**" من خلال طبيعته التداولية الجدلية ؛فهو " **تداولي لأن طابعه الفكري مقالي و اجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة و مطالب إخبارية و توجيهات ظرفية ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في انشاء معرفية علمية انشاء موجها بقدر الحاجة**"[2] ،من خلال القول يتضح لنا أن "**طه عبد الرحمن**" راعى في تعريفه للحجاج العوامل المحيطة بالمتخاطبين وأولها السياق ،كما أنه أولى مقتضى الحال أهمية كبرى في العملية التخاطبية واعتبر كذلك أن الحجاج يقوم على الجدل ،فهو حسبه جدلي **لأن** "**هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع و أغنى من البنيات البرهانية الضيقة** "[3] ؛ذلك أن الاستدلال يشمل البرهان والحجاج معا ،فالاستدلال في نظرنا هو طلب الدليل (البرهان) لتحقيق غاية الاقناع (الحجاج).

[1]- ينظر: شكري المبخوت ، الحجاج في اللغة ، ص376.

[2]- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 65.

[3]-المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

لقد قام "**طه عبد الرحمن**" في دراسته للحجاج بالتمييز بين ثلاثة أنواع كان أولها "**الحجاج التجريدي**" الذي يقصد به "**الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها**"[1] ،فالحجاج التجريدي قائم على حجة مجردة لا يراعى فيها المقام أو السياق ،أما النوع الثاني فهو " **الحجاج التوجيهي** " الذي يقوم على مبدأ القصد وفعل القول ، فالمخاطِب في تقديمه للحجج تجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة[2] ،كما تجده – المخاطِب – في الحجاج التوجيهي يولي أهمية للمقام حسب طه عبد الرحمن .

أما النوع الثالث فهو " **الحجاج التقويمي**" والقائم على النظر في فعل التلقي باعتبار المتلقي (المستدِل له) أول متلقي للخطاب(الدعوى) وعلى المخاطِب (المستدِل) أن يستبق استفسارات المخاطَب واعتراضاته ويستحضر مختلف الأجوبة عليها[3] ،كما يجب عليه أن يراعي في تقديمه للحجة فعل الالقاء وفعل التلقي معا.

من خلال كل ما سبق ،يتضح لنا أن الحجاج في الدراسات الحديثة انضوى تحت ثلاث اتجاهات كبرى ،اتجاه تناوله بلاغيا دون فصله عن أصوله الأرسطية وهذا ما وجدناه عند بيرلمان وتيتكاه، واتجاه اعتبره محايدا عن البلاغة ،وهذا ما حاول تولمين تجسيده لكنه لم يستطع حسب رأينا إثبات وجهة نظره القائمة على فصل الحجاج عن البلاغة وربطه بالمنطق ،لاعتبارات كثيرة لعل أبرزها تلك الأرضية البلاغية التي وضعها بيرلمان في تأصيله للدرس الحجاجي وتقسيماته للحجج مما صعب المهمة على الدارسين بعده واتجاه تناوله لغويا لكن بصبغة بلاغية وهذا ما استقيناه في دراستنا للحجاج عند ديكرو وانسكومبر.

[1]– طه عبد الرحمن ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 226.

[2]–ينظر :المرجع السابق ، ص 227.

[3]–ينظر : نفسه ، ص 228.

الفصل الثاني:

الآليات الحجاجية في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف

يمتاز الخطاب الحجاجي عن غيره من الخطابات بمجموعة من الخصائص لعل أبرزها انطواؤه على مجموعة من الآليات والتقنيات التي تسمح للمخاطِب أو المتلقي باستيعاب مجموع البنى الحجاجية وكذا طريقة بنائها ،ونحن في دراستنا لرسالة " **طوق الحمامة في الألفة والأُلاَّف**" حاولنا البحث بين طياتها عن بعض المقومات الحجاجية التي تسمح لنا بتصنيف الحجج كل حسب طبيعتها ،وحسب السياق الذي أوردها فيه " **ابن حزم الأندلسي**" حتى يحمل المستقبِل أو المتلقي على الإذعان الذي أشرنا إليه في الفصل الأول فكانت بذلك بدايتنا بلاغية مع الحجج الشبه منطقية ،ثم أتبعناها بالآليات اللغوية على النحو الآتي :

1-بلاغة الحجاج في كتاب طوق الحمامة :

1-1 الحجج الشبه منطقية :

أ - **التنافر أو التناقــض** : يقصد بالتنافر وجود قضيتين إحداهما تدمغ الأخرى وتنفيها وهذا ما أشرنا إليه في الفصل الأول ،" **إن التناقض الصارخ من قبيل أبيض/ أسود نادر جدا ، فالخطاب الحجاجي قلما يلتجئ إلى "الاستدلال بالخلف" ولكنه يحتفل احتفالا واضحا بعدم الاتفاق إذ يدفع الحجاج أطروحة ما، مبينا أنها لا تتفق مع أخرى** "[1] ،وهذا ما نجده في قول ابن حزم الأندلسي : " **ومما يؤكد هذا القول أننا قد علمنا أن المحبة ضروب فأفضلها محبة المتحابين في الله عز وجل إما لاجتهاد في العمل واما لاتفاق في أصل النحلة والمذهب وإما لفضل علم يمنحه الإنسان ،ومحبة القرابة ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب ومحبة التصاحب والمعرفة ومحبة لبر يضعه المرء عند أخيه ومحبة لطمع في جاه المحبوب ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه ...وكل هذه الأجناس فمنقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها متأكدة بدونها فاترة ببعدها حاشى محبة العشق الصحيح المتمكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا الموت** "[2] ،لقد حاول ابن حزم الأندلسي من خلال قوله هذا أن يبين أن

[1]-سامية الدريدي ،الحجاج في الشعر العربي بنياته وأساليبه ، ص 192.

[2]-إبن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، موفم للنشر ، د ط ، الجزائر 1988 ، ص 10.

محبة العشق الصحيح الخالي من كل أنواع المصالح هي أسمى أنواع المحبة وأرقاها، محتجا على ذلك بمجموعة من القضايا التي أرادها أن تكون من قبيل المقابلة بين فكرة أو مجموعة أفكار للوصول إلى نتيجة تكون بمثابة الاستخلاص أو الواقع المسلم به ،فالقضية الأولى التي تناولها الكاتب هي تصنيفه لأنواع شتى من المحبة ؛كالمحبة في الله التي عدها أسمى أنواع المحبة وأفضلها والتي تقوم حسبه على الاشتراك في المذهب والنحلة ،ثم محبة القرابة وغيرها من أنواع المحبة .ليناقضها بقضية أخرى تدحضها وتبين سقمها ،وهذا عندما مايز وفضل محبة العشق الصحيح عن غيرها من أنواع المحبة بل وربط زوالها بالفناء والموت .

إن ابن حزم من خلال عرضه لبعض أنواع الحب وما يترتب عليها من سلبيات (القضية الأولى) ،ثم دحضه لهذه الأنواع ومناقضته لها بقضية أخرى (محبة العشق الصحيح) فهو بذلك يساهم في تدعيم رأيه باستعماله التناقض وعدم الاتفاق حجةً مفحمةً ،وهذا ما نجده كذلك في قوله:

يَلُومُ رِجَالٌ فيكَ لَم يَعرِفُوا الهَوَى وسَيَانَ عِندِي فِـــــيكَ لَاحٍ وَسَاكِـتُ

يَقُولُونَ جَانَبتَ التَصَاوُنَ جُملَةً وأَنتَ عَليمٌ بالـــــشَريعَةِ قَانِـــــــتُ

فَقُلتُ لَهُم هَذَا الرِيَاءُ بِعَينِـــــهِ صَرَاحًا وَزِيِي لِلمُرَائِـينَ مَــاقِـــــتُ

مَتَى جَاءَ تَحْرِيمُ الهَوَى عَن مُحَمَدٍ وَهَل مَنعُهُ فِي مُحكَمِ الذِكرِ ثَابـــــِتُ ؟ [1]

تعتبر الحجج التي صاغها ابن حزم الأندلسي بمثابة رد حجة بنقضيها؛ أي أن الشاعر في محاجته لخصومه الذين عذلوه في الهوى ولاموه عن حبه بحجة أن الشرع لا يبيح ذلك اعتمد في دمغ حجتهم على حجة أخرى ،كان انطلاقها هي كذلك من الشرع والدين. وتتمثل في استفهامه الظاهر في البيت الأخير من المقطوعة الشعرية ،وهذه الحجة هي ما يصطلح عليه بـ "

[1]– المصدر السابق ، ص 58.

قلب البرهان على صاحبه " وتنص على " **اعتماد حجة الخصم وإثبات أنها في حقيقة الأمر تُناقِض ما يذهب إليه**" [1] ،بل تصبح حجة عليه لا حجةً له .

ب – **التماثل :** التماثل نوع من أنواع الحجج الشبه منطقية وهو قائم على وجه المعرِف – بكسر الراء – والمعَرف بفتحها كما أسلفنا الذكر، كما أنه يستلزم التعريف بفكرة معينة عن طريق الكلمات التي تصاغ على شاكلتها لفظا ،وتختلف دلالة وهذا ما يؤكده محمد سالم محمد الأمين طلبة بقوله :" **أما التماثل التام فمقداره على التعريف الذي يكون فيه المعرَف والمعرِف متماثلين لفظا ، الأمر الذي يجعلنا نعتبر اللفظ الثاني محمولا على المجاز وذلك حتى لا تكون العبارة الثانية حشوا أو تحصيل حاصل**"[2] ،أي أن الباحث يميز بين معنيين ، معنى حقيقي ومعنى مجازي ،ولتوضيح التماثل نورد قول ابن حزم الأندلسي :

وَقَابِل أَفَانِينَ الزَمَانِ مَتَى يَـــــرِد عَلَيكَ فَإِنَ الدَهرَ جَـمٌ وُرُودُهُ

بِأَشكَالِهَا مِن حُسنِ سَعيِكَ يَكفِكَ اليَسِيرُ يَسِيرٌ والشَدِيدُ شَدِيدُهُ[3]

نلاحظ اعتماد ابن حزم التماثل في محاولته تدعيم رأيه وتبيان أن اليسير (معنى حقيقي) يبقى يسيرا (معنى مجازي) في نظر طالب المراتب العليا في الحياة مهما حاول الزمان أن يحيده عن هدفه ومهما حاول أن يثني من عزيمته ،بينما الشديد يبقى شديدا حتى ولو حاول المرؤُ التغلب على الصعاب التي يخطها الزمان في مختلف دروب الحياة ،إن ابن حزم ومن خلال استعانته بالتماثل كبنية حجاجية رغم غموضه إلا أنه يدعم رأي الشاعر في عَجُز البيت الثاني ويترك أثرا في ذهن المتلقي.

جـ– التعديـــــــــة: تعتمد علاقة التعدية على القياس الشبه منطقي كما وضحناه سابقا في المعادلة القائمة على أنه إذا كان (أ) في علاقة مع (ب) و (ب) في

[1]–سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنياته وآساليبه ، ص 196.

[2]–محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط1،ليبيا ، 2008، ص 128.

[3]–ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 64.

علاقة مع (ج) فإن (أ) في علاقة مع (ج) ونظير ذلك في رسالة " طوق الحمامة في الألفة والألاف قول ابن حزم الأندلسي : " **وإني لأعرف من كان في جيد حبيبته بعض الوقص فما استحسن أغيد ولا غيداء بعد ذلك ، وأعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة الى القصر فما أحب طويلة بعد هذا** "[1] ،تتمثل التعدية في قول ابن حزم هذا في المعادلة التالية والتي نسوغها على الشكل التالي :

كان في جيد حبيبته بعض الوقص (أ) ⟵ فلا استحسن أغيد ولا غيداء* (ب)

إذن : لا يحب من ليس في جيدها بعض الوقص (ج) .

تعتبر العلاقة في قول ابن حزم الأندلسي علاقة " **اشتمال** " ؛ذلك أن المحبوب حين استحسن حبيبته التي تعاني الوقص** الذي هو جزء منها لم يستحسن من النساء بعد ذلك غير من عانت الوقص تيمنا بحبيبته ،ولتدعيم التعدية حجة صاغها ابن حزم نورد البيتين التاليين:

خُذُوا مِن تُرابٍ فِيهِ مَوضِعُ وَطئِهِ وَأَضمَنُ أَنَ المَحَلَ عَنكُمُ يَبعـدِ

فَكُلُ تُرَابٍ وَاقِعٌ فِيهِ وَجلُـــــــــهُ فَذَاكَ صَعِيدٌ طَيبٌ لَيسَ يُجحَدِ [2]

أراد ابن حزم الأندلسي تدعيم قوله هذا بحجة التعدية كما أسلفنا الذكر ممثلة هذه المرة في " **التساوي** " ؛ذلك أن المُحِبة في البيت الثاني ساوت بين التراب الطيب وبين موضع حبيبها فأحبت بذلك كل تراب مشى فيه المحبوب بل واعتبرته صعيدا طيبا .

---

[1]–ابن حزم الأندلسي طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 42 .

*–*غَيْداء* اسم عربي علم مؤنث. معناه: الحسناء اللينة الناعمة، الفتاة البَيِّنَةُ الغَيَد.

** –*الوقص* بمعنى كسر العنق أو قصره .

[2]–المرجع نفسه ، ص 145.

يؤكد ابن حزم الأندلسي من خلال استعماله للحجج الشبه منطقية في رسالة "**طوق الحمامة** " فإنه يؤكد تمسكه بمبادئه القائمة على التمسك بالاستدلال المنطقي ،وحمل المتلقي على الإذعان حتى ولو كان الموضوع بعيدا كل البعد عن طرق المنطق ومسالكه الوعرة .

2-1 : الحجج المؤسسة على بنية الواقع :

أ-التتابـــع : يقصد بالتتابع تلك العلاقة القائمة بين الأحداث على أساس سببي وهذا ما أشرنا إليه في الفصل الأول في مثال سقوط الأمطار في مدينة تيزي وزو كسبب لتراكم السحب ؛أي أن أي فعل يرتبط بفعل آخر يتقدم أو يتأخر عنه. والملاحظ لرسالة ابن حزم الأندلسي سيجد أنه استعان بالتتابع كحجة مؤسسة على بنية الواقع وهذا في قوله : " **فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فَعَلَ فِعْلَ النار ، ونجد الفرح إذا أفرط قتل والغم إذا أفرط قتل ،والضحك إذا اشتد سال الدمع من العينين** "[1] لقد ربط ابن حزم الأندلسي مجموعة من الأفعال المتتابعة بحجج سببية ،حيث ربط فعل الحرق والذي كان ضمنيا في قوله بإدمان حبس الثلج في اليد ،كما ربط القتل بسبب كثرة الغم والفرح ، ليصل في نهاية القول إلى ايراد حجة ربما كانت أبلغ الحجج السببية وأكثرها إبانة في حد نظرنا ،حيث عقل ابن حزم نزول الدمع من العين بكثرة الضحك ؛أي أن هناك فعلين يتبع أحدهما الآخر وهذا ما نوضحه بالشكل التالي :

الضحك إذا اشتد (رابـــــط تتابعي) سال الدمع من العينين.

لقد أكد الشاعر استعماله للحجج القائمة على التتابع سواء من خلال نثره أو من خلال شعره وهذا ما يؤكده في قوله :

وَلَا تَيْأَسَنَ مِمَا يُنَالُ بِحِيلَةٍ وَإِن بَعُدَت فَالأَمرُ يَنأَى وَيَصعُبِ

[1]- ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 19.

وَلاَ تَأمَن الإِظلاَمَ فَالفَجرُ طَالِعٌ وَلاَ تَلتَبِس بِالضَوءِ فَالشَمسُ تَغرُبِ[1]

لقد استطاع ابن حزم الأندلسي أن يؤكد مرة أخرى استعماله للحجة السببية كما أسلفنا الذكر ،وهذا ظاهر في البيت الثاني حين أكد أن الظلام ليس ثابتا لأن الفجر سيكون سببا في زواله وأن ضوء الشمس هو الآخر ينقضي بغروبها ،وهو ما يؤكد في نظرنا تمكن ابن حزم الأندلسي من اقناع المتلقي وحمله على الإذعان باستعمال التتابع أو الربط السببي بين ظاهرة معينة ونتائجها ،لأن النتيجة لا تكون احتمالية بل تكون يقينية قائمة على التتابع في ظل العلاقة (سبب – مسبب) وهذا ما لاحظناه في قولي ابن حزم الواردين .

ب–الغائيـــــــة : نقصد بالغائية تلك "**النتيجة التي يسعى المحاجج إلى الوصول إليها والمتمثلة في بلوغ التأثير والإقناع**"[2] ،الذي يتحقق من خلال ربط الحجج بغايتها لا بأسبابها ؛ "**ذلك أن قيمة الشيء تحدد بالغاية التي يكون لها وسيلة**"[3] ،أو ما نصطلح عليه في حواراتنا اليومية بعبارة الغاية تبرر الوسيلة ،ومثال ذلك في رسالة " **طوق الحمامة في الألفة والألاف** " قول ابن حزم الأندلسي :

لَيسَ التَذَلُلُ فِي الهَوَى يُستَنكَرُ فَالحُبُ فِيهِ يَخضَعُ المُستكبِرُ

لَا تَعجَبُوا مِن ذِلَتِي فِي حَالَةٍ قَد ذُلَ فِيهَا قَبلِي المُستَنصَرُ[4]

أي أن ابن حزم الأندلسي في قوله هذا أراد أن يربط فعل " **التَذَلُل والخضوع** " بغاية ممثلة في " **الهوى** " ،بل ويبرر ذلك بأن الكثيرين قبله ذلوا لغاية سامية هي الحب واعتبر أنه لا استنكار حين تكون الوسيلة التي يذل بها الإنسان مجسدة في غاية الهوى .

[1]– المصدر نفسه ، ص 107.

[2]–محمد طروس ، النظرية الحجاجية ، ص 90

[3]- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنياته وآساليبه ، ص 221.

[4]– ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 69.

ونجد كذلك حجة الغائية في قول ابن حزم : " **ومن عجيب طاعة المحب لمحبوبه أني أعرف من كان سَهِرَ الليالي الكثيرة ولقي الجهد الجاهد فقطعت قلبه ضروب الوجد ثم ظفر بمن يحب وليس به امتناع ولا عنه دفع** "[1] والتي أراد ابن حزم أن يقول لنا من خلالها – المقولة– أن الإنسان اذا كانت غايته الضفر بمن يحب فلا سبيل إلى ذلك إلا اتخاذ السهر وبذل الجهد وسيلة لذلك .

تنضوي تحت حجة الغائية حجة أخرى هي "**حجة التبذير**"* وتقوم على فكرة اتمام الأمر الذي ابتدأ فيه ،والتي مثل لها بيرلمان في كتابه "**مصنف في الحجاج**" بقوله:" **إننا لما بدأنا عملا ما ولما كنا سنخسر تضحيات تجسمناها في سبيله لو تخلينا عن المهمة فإنه ينبغي المواصلة في الاتجاه ذاته**"[1] . وإذا كانت هذه الحجة تقوم على إكمال انجاز أمر ما بدئ فيه فإن ورودها في رسالة "**طوق الحمامة في الألفة والألاف**" لم يكن ظاهرا بالقدر الكافي ،رغم ما في الرسالة من قضايا كثيرة تناولت أخبار الحب والمحبين ولا يستوي الحب حبا إلا إذا تمَ وكمل أو كان تمامه الموت قتلا وهذا ما يؤكده ابن حزم في قوله :

وإِنِي وإِن تَعْتَب لَأَهونَ هَالِـكٌ كَزائِفِ ذُلَ فِـــي يـدِ جَهبَذِ*

عَلى أَنَ قَتْلِي فِي هَواكَ لَذَاذَةٌ فَيَا عَجَبًا مِن هَالِكٍ مُتَلَذِذِ[2]

ويقول في موضع آخر أكثر دقة :

إِذَا أَنَا بَلَغَتْ نَفْسِ المــنَى مِنْ رَشَا مَا زَالَ لــي مُمـرِضَا

فَمَا أُبَالِي الكُرهَ مِن طَاعَةٍ وَلاَ أُبَالِي سَخَطًا مِنْ رِضَـــى

---

[1]–المصدر نفسه ، ص 70 .

*–يطلق عليها عند بعض الدارسين حجة التبرير

[1]–سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنياته وأساليبه ، ص 224.

*–الجهبذ هو العارف بغوامض الأمور جمعه جهابذة .

[2]–ابن حزم الأندلسي ، طوق الحامة في الألفة والألاف ، ص 67

إِذَا وَجَدتُ المَاءَ لاَبُدَ أَنْ أُطْفِي بِهِ مِشعَلَ جَمرِ الغَضَا [3] **

الملاَحَظُ في مجموع الأبيات هاته هو اشتراكها في حجة التبرير؛ ذلك أن نهاية الحب في البيتين الأولين كانت مرتبطة بالهلاك والموت ،أما المقطوعة الشعرية الثانية فقد أكد فيها المخاطِب اتباع شهوَتَه مهما كلفه الأمر من مشقة وهذا ما يظهر في لفظة " **لا أبالي و لا بد** " ؛أي أنه إذا عزم على أمر فلابد له من اتمامه معللا حالته بحالة الباحث عن الماء الذي وإن وجده فلابد له من أن يطفئ به نارا متقدةً .

جـ-التعايش : تقوم هذه الحجة على علاقة تعايش بين الأشياء أو علاقة الشخص بعمله[3]،وهي علاقة حصرها البعض في علاقة الذات بصفاتها أو الشخص بأفعاله[4] ،وتظهر في **رسالة** " **طوق الحمامة في الألفة والألاف**" في قول ابن حزم الأندلسي :

أَفْعَالُ كُلِ امْرِئٍ تُنبِي بِعُنصرُهِ وَالعَيْنُ تُغْنِيكَ عَنْ أَنْ تَطْلُبَ الأَثَرَ[5]

أراد الشاعر أن يقول لنا أن الصفات الحميدة في الانسان مرتبطة بعنصره الطيب والصفات الذميمة كذلك مرتبطة بعنصر الانسان الخبيث، وحجته في ذلك أن افعال كل إنسان هي من تخبرك بطيبه أو خبثه وهو ما تقوم عليه حجة التعايش من ربط للأشخاص بصفاتهم وأفعالهم كما أسلفنا الذكر . وقريبا من هذه الحجة تضطلع " **حجة الرمز**" هي الأخرى بوظيفة حجاجية في أشعار ابن حزم الأندلسي؛ ذلك أن الشاعر في طرحة يحتاج إلى مجموعة من الوقائع التي يؤسس بها خطابه ويحمل متلقيه على الإقناع والإذعان ،ومن هذه الوقائع نجد الرمز الذي "**يوظف بعدة صيغ و أشكال فهو الوطن واللغة والمعتقد وهو أيضا أبطال الأساطير و عظماء**

[*] *- الغضا: شجر خشبه صلب جدا ، وجمره يبقى زمنا طويلا لا ينطفئ .

[3]-المصدر نفسه ، ص 73.

[1]-ينظر: صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، ص 48 .

[2]-سامية الدريدي ، الحجاج الشعر العربي بنياته وأساليبه ، ص228 .

[3]-ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 119.

التاريخ وقد يكون إلى ذلك كله معلما تاريخيا أو راية أو جبلا "[1] ،أو ربما نبيا أو واقعة في التاريخ الإسلامي لها أثرها في مجتمع ابن حزم الأندلسي وفي ذلك يقول :

تَجِدُ كُلَ هَذَا رَاجِعًا نَحوَ خَالِقٍ لَهُ مُلكُهَا مُنقَادَةٌ وَائتِـــــــمَارُهَا

أَبَانَ لَنَا الآيَاتَ فِي أَنبِيَائِـــــهِ فَأَمكَنَ بَعدَ العَجزِ فِيهَا اقْتِدَارُهَـا

فَأَنطَقَ أَفوَاهًا بِأَلفَاظِ حِكمـــــةٍ وَمَا حَلَهَا اثِغَارُهَا واتِغَـــــــارُهَا

وَأبرَزَ مِن صُمِ الحِجَارَةِ نَاقَـــةً وَأَسمَعَهُم فِي الحِينِ مِنهَا خُوَارُهـا

لِيُوقِنَ أَقوَامٌ وَتكفُرَ عُصـــــبَةٌ أَتَاهَا بِأَسبَابِ الهَلاَكِ قَدَارُهَـــــا

وَشَقَ لِمُوسَى البَحْرَ دُونَ تَكلِفٍ وَبَانَ مِن الأَمْوَاج فيه انحِسَارُهَا [2]

على هذا المنوال وظف ابن حزم الأندلسي حجة الرمز، والتي أتت لتدعيم أطروحته القائلة بقدرة الله عز وجل ،فصاغ عدة رموز بدءا بالأنبياء مرورا بناقة صالح التي تعتبر رمزا في المجتمع الإسلامي يحمل المتلقي على الإذعان بملكوت الله وقدرته ،و" **الواقع أن مؤسس الخطاب الحجاجي أيا كان هذا الخطاب يعي عادة الفضاء الذي يتحرك فيه خطابه ويعرف ضرورة الرموز المعبرة عن انتماء متلقيه الثقافي والإجتماعي** "[3] ،وهذا ما فعله ابن حزم في شعره .

لقد أكد ابن حزم الأندلسي من خلال توظيفه الحجج المؤسسة على بنية الواقع أنه إنسان مجرب مقترن بواقعه الذي لا يستطيع أن يفسره ،إلا إذا استند على حجج تكون منه حتى يستطيع إقناع المتلقي الذي ينبثق هو الآخر من الواقع ويحمله على التسليم .

[1]– سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنياته وأساليبه ، ص 236

[2]–ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 219.

[3]–سامية الدريدي ،الحجاج في العر العربي بنيته وأساليبه ، ص 237.

3-1 :الحجج المؤسسة لبنية الواقع :

1-3-1-الحجج المُبَنِينَة للواقع التي تعتمد الحالات الخاصة :يتأسس هذا النوع من الحجج على إثبات أو تقوية أطروحة معينة ،ويعتمد هذا الصنف من الحجج في تأسيسه على ثلاث أنواع من الحجج والتي اكتفينا منها بـ:

أ-**الشاهد:** يقوم الشاهد على مجموع الأحداث أو الأشخاص الذين يستند عليهم الخطيب لتبرير موقف معين ،و" **نحن نرى أنه يكفي لكي نتحدث عن الشاهد أن نَذكر اسمًا أو أن نستحضر سمةَ سلوك ما ،يتضمنان الأول والثاني مشابهة بين الشاهد المذكور وحالة معينة مضبوطة يذكر بشأنها الشاهد لاستخلاص فائدة أو إشارة إلى السلوك الذي ينبغي اعتماده**"[1] وهذا ما اعتمده ابن حزم الأندلسي حينما أراد أن يبرر عدم كراهة الحب يقول : **ومن الدليل على هذا أيضا أنك لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة واتفاق الصفات الطبيعية فلابد من هذا وإن قلَ ،وكلما كثرت الأشباه زادت المجانسة وتأكدت المودة فانظر هذا تره عيانا وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكده "الأرواح جند مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" وقول أحد الصالحين "أرواح المؤمنين تتعارف " ولذلك ما اغتنم بقراط * حين وصف له رجل من أهل النقصان يحبه فقيل له في ذلك فقال " ما أحبني إلا وقد وافقته في بعض أخلاقه "** [2] .

لقد ربط ابن حزم الأندلسي القضية التي هو بصدد تبريرها ،بمجموعة من الشواهد لعل أبرزها حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام حول المودة ،ثم أتبعها بقصة الفيلسوف " **بقراط** " حتى تكون بذلك حُجَجُه الممثلة في الشاهد مختلفة المشارب ممازجة بين الشاهد الديني – الحديث النبوي- والشاهد القصة ممثلة في قصة بقراط الحكيم باعتبارهما واقعتين حقيقيتين يشترك فيهما كل

---

[1]-فرانسوا مورو ، البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، تر: محمد الولي و عائشة جرير ، أفريقيا الشرق ، ط2 المغرب ، 2003، ص 53.

*-بقراط طبيب وفيلسوف يوناني ولد بجزيرة كوس حوالي سنة 460 قبل الميلاد.

[2] -ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ،ص 12

من المرسل –ابن حزم – والمتلقي ،الذي بدوره يستخلص النتيجة ويصل الى التسليم بالقضية السالفة الذكر.

ب–المثل : يعتبر المثل آداةً حجاجية بامتياز ؛ ذلك لما لآلياته في الاستدلال من قدرة على توضيح الفكرة وإبراز الأطروحة ،فيوصف المثل بأنه التعبير عن فكرة معينة بواسطة صورة ما أو مجموعة صور تعوض إحداهما الأخرى اعتمادا على علاقة المشابهة[3] وهو بذلك يسمح بدعم أطروحة قائمة سلفا ،مساهمًا بذلك في نجاح العملية التواصلية وحمل المتلقي على الاذعان .

قد ينطلق الاستدلال بالمثل من "**واقعة خاصة أو فكرة معينة فيتأسس بذلك الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها بحيث تصبح حالة عامة لا مجرد حالة خاصة تم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها**" [1] ،وهذا ما فعله ابن حزم الأندلسي في قوله :

أَقُــولُ لِنَـــفسِي مَا مُبِـــينَ كَحَـــالِكِ وَمَا النَاسُ إِلاَ هَالِكٌ وابنُ هَالِكِ

صُنِ النَفسَ عَمَا عَابَهَا وارفُضِ الهَوَى فَإِنَ الهَوَى مِفتَاحَ بَابَ المَـهَالِكِ

رَأَيتُ الهَوَى سَـــــهلَ المَبَـادِي لَذِيذَهَا وَعُقبَاهُ مُرُ الطَعمِ ضَنكَ المَسَالِكِ

فَمَا لَذَةُ الإِنسَانِ وَالمَوتُ بَـــــعدَهَا وَلوْ عَاشَ ضِعفَي عُمرِ نُوحِ بن لاَمِكِ

فَلاَ تَتِـــــبِع دَارًا قَلِـــــيلاً لَبَـــــاثُهَا فَقَد أَنذَرَتنَا بِالفَنَاءِ المُوَاشِـــــكِ[3]

انطلق ابن حزم الأندلسي في الأبيات الواردة من حالته (حالة خاصة) كمثال يوضح به ما في الهوى من مساوئ ، ليصوغ بذلك عدة أمثلة في ذم الهوى وعدم الخلود في الحياة الدنيا ضاربا مثال سيدنا نوح عليه السلام (نوح بن لامك) ، والملاحظ للأبيات يجد أن الشاعر

[3] – ينظر : فرانسوا مورو ، البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، ص 51.

[1]– سامية الدريدي ،الحجاج في العر العربي بنيته وأساليبه ، ص243 .

[3]- ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ،ص205 .

انطلق في أطروحته من مخاطبة نفسه وذلك ظاهر في صيغة الخطاب (أقول لنفسي) كواقعة خاصة مفردة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مخاطب الغير وهذا ما يبدوا جليا في أسلوب النهي (لا تتبع) حتى يؤسس بذلك واقعة عامة –حكمة– مُبَنْبِنةً للواقع عن طريق المثال بسب علاقة المشابهة التي تجمع الشاعر كإنسان ببني جلدته .

يكمن الفرق بين الحجتين الشاهد والمثال في كون الأولى تأتي لإثبات قضية معينة بينما تأتي الثانية لتوضيحها ، وهذا ما أقره بيرلمان حين فصل بين الشاهد والمثال على أساس الوظيفة الحجاجية لكل واحد منهما .

1–3–2–الحجج المبنينة للواقع التي تعتمد التمثيل :

أ–**التشبيه** :حظي التشبيه بكثير من العناية والاهتمام ،لما لآلياته من استطاعة على تأكيد المعنى وتثبيته ،سواء من الناحية النفسية أو الفكرية ؛ فكان ضروريا أن يوليه الدارسون قديما أهمية بالغةً لكثرة وروده شعرا ونثرا ،يعرفه الشريف الجرجاني بقوله: "**هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه كالشجاعة في الأسد ، والنور في الشمس** "[1] فالتشبيه حسب الجرجاني اشتراك في الجزء لا في الكل أو في صفة من الصفات دون غيرها ،وهو ما ذهب إليه صاحب مدونتنا "**ابن حزم الأندلسي**" حيث يعرف التشبيه بقوله : " **التشبيه بين الأشياء المشبهة حق مشاهد فإذا شبه الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم شيئا بشيء فهو صدق وحق وتنبيه على قدرة عظيمة ، لأنه ليس في العالم شيئان إلا وهما مشتبهان من وجه ما وغير مشتبهين من وجه آخر** "[2] ،هذا الذي يؤكد ما ذهب إليه الشريف الجرجاني .

يعتبر الحجاج بالتشبيه من أبلغ طرق الاستدلال ، إذ يعتبر بمثابة " **تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات** "[3] ،فهو إذن احتجاج قائم

[1]–الشريف الجرجاني ،كتاب التعريفات ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، بيروت ، لبنان ،2005 ، ص 43.

[2]– ابن حزم الأندلسي ، الإحكام في أصول الأحكام ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار الآفاق الجديدة ، ط2، بيروت لبنان 1983، ج4 ،ص 37.

[3]–سامية الدريدي ، الحجاج في العربي بنيته وأساليبه ، ص 252.

عن علاقة الشبه التي تربط بين أمرين متماثلين نسبيا ،وقد وظفه ابن حزم الأندلسي في قوله **ونفس المحب متخلصة عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة طالبة له قاصدة إليه باحثة عنه مشتهية لملاقاته جاذبة له لو أمكنها كالمغنطيس والحديد**" [1] ورد التشبيه في هذا القول مكتمل الأركان : المشبه (نفس المحب) ،المشبه به (الحديد والمغناطيس) ،أداة التشبيه (الكاف) ،حيث شبه ابن حزم الأندلسي نفس المحب التواقة إلى المحبوب الطالبة لملاقاته بالمغناطيس الذي كلما وجد الحديد التحم معه وجذبه إليه وهذا هو وجه الشبه في القضيتين اللتين أوردهما ابن حزم .

كما أن الكاتب في رسالة " **طوق الحمامة في الألفة والألاف** " استعان بالتشبيه التمثيلي حجة حيث يقول :

وَلاَ تَمزِجَنَ فِي الجِدِ مَزحًا كَمُــولِجٍ فَسَادَ عِلاَجُ النَفسِ طَيَ صَلاَحِــهَا

وَمَن كَانَ نَقلُ الزُورِ أَمْضَى سِلاَحَهُ كَمِثلِ الحُبَارَى* تُتقَى بسُلاَحِـها ** [1]

شبه "**ابن حزم الأندلسي**" ناقل كلام الزور بطائر الحُبارى الذي إذا دعُي للنزال لم ينزل بل استدبر منازله ورماه بفضلاته ولتوضيح التشبيه التمثيلي الوارد في البيت الشعري نورد الشكل التالي :

المشبه ← ناقل كلام الزور

المشبه به ← طائر الحُبــارى ← اشتراك المشبه والمشبه به في الجُبنِ والفُحشِ .

أداة التشبيه ← مِـــــــــثـل

[1]–ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 11.

*–الحُبارى طائر رمادي اللون يشبه الإوزة ، طويل العنق ، طويل المنقار يضرب به المثل في الحمق

**–سُلاح الطائر فضلاته

[1] – ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 91.

من خلال تتبعنا للحجاج بالتشبيه في رسالة طوق الحمامة لاحظنا وُرودَه بكثرة وذلك راجع في رأينا للدلالة على أن القول التشبيهي أكثر حجاجية من القول العادي.

ب–الاستعارة : تكاد الاستعارة اليوم أن تتربع على حقل الدراسات اللسانية والتداولية وذلك راجع إلى كونها "**نظرية إنسانية كونية ليست مختصة بثقافة أُمةٍ من الأُمم**" [2]

كما يُعتبر القول الاستعاري أكثر حجاجية من القول العادي و" **أود أن أنطلق هنا من ملاحظة واضحة كل الوضوح وهي أن كلمة "حمار" عندما تطلق على الحيوان طويل الأذنين أقل دلالة على القدح مما إذا استعملناها في حق شخص معين**"[2] ويعود الفضل في إخراج الاستعارة من حقل الدراسات البلاغية التقليدية إلى بيرلمان الذي أكسبها قوة حجاجية في مجال الدراسات المتعلقة بالحجاج أو ما يصطلح عليه اليوم بالبلاغة الجديدة .

لقد أولى العرب القدامى الاستعارة بواسع العناية والاهتمام ،فتناولها عبد القاهر بالتعريف حيث يقول : " **اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصل في الوضع اللغوي معروفٌ تدل الشواهد على أنه اخْتُص به حين وُضِع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية** "[3] أي أن الشاعر في استعماله للفظ معين يستعيره ويخرجه من معناه الذي وضع له إلى معنى آخر يعبر به الشاعر أو الكاتب عن جواهر نفسه من جهة ويحاول إقناع المتلقي والتأثير فيه من جهة أخرى ،وهذا ما فعله ابن حزم الأندلسي في قوله عن علامات الحب: " **وهذه العلامات تكون قبل استعار نار الحب ، وتأجج حريقه ، وتوقد شعله ، واستطارة لهبه**"[4] لقد صورت لنا هذه الاستعارة فعل الحب في المحب ، فرغم أنها لم ترد بأسلوب مباشر ، إلا أنها تركت المتلقي يُعمل خياله ومشاعره من أجل

---

[2]–خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية ، بيت الحكمة ، ط1 ، الجزائر 2012، ص 63.

[2]– سامية الدريدي ، الحجاج في العربي بنيته وأساليبه ، ص 254.

[3]–عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تح : محمود محمد شاكر ، دار المدني للنشر ، د ط ، جدة ، د ت ، ص 30.

[4]– ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 17.

الربط بين لفظين متباينين (النار ، الحب) ليصل في نهاية المطاف إلى الإذعان بقوة الحب واستطاعته السيطرة على الإنسان ووجدانه وكل ذلك مرده إلى قوة الحجج الواردة وتَرَاتُبيَتِها في العبارة والتي نمثلها بالسلم الحجاجي التالي:

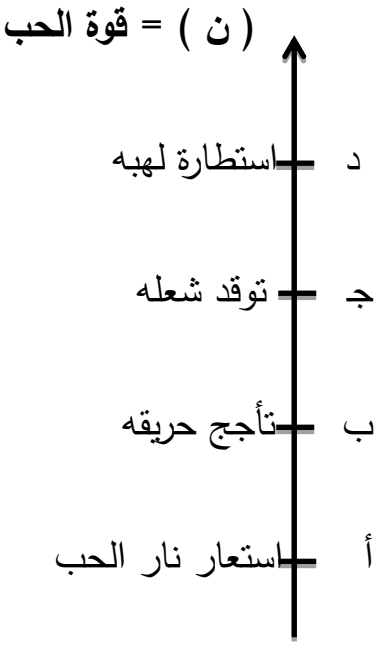

ومن الاستعارات التي نصفها بأنها حجاجية ؛ لما لألفاظها من دلالات قوية تُتْرِكُ في ذهن المتلقي حديث ابن حزم الأندلسي عن الفراق حيث يقول : "**وإنها ساعة ترق القلوب القاسية ، وتلين الأفئدة الغلاظ ،وإن حركة الرأس وإدمان النظر والزفرة بعد الوداع لهاتكة حجاب القلب وموصلة إليه** "[1] ،شبه الكاتب القلوب قبل ساعة الفراق بالحجارة فحذف المشبه به وترك أحد لوازمه (القاسية) ،كما أن لكلمة الغلاظ وقعا في نفسية المخاطَب . ولتفكيك جزء من الاستعارة الواردة نورد الجدول الآتي :

[1]–المصدر السابق ، ص134.

المستعار منه	المستعار	المستعار له	الرابط السببي
الحديد في صلابته وقسوته	القســـاوة	القلـــب	الشِّـــــدَة

يوضح لنا الجدول كيف أن ابن حزم الأندلسي استطاع أن يمازج بين لفظين مختلفين ،الأول معنوي (**القلب**) والثاني مادي (**الحديد**) لرابط سببي تجلى في الشدة والقوة ،وذلك راجع ربما إلى محاولة الكاتب التأثير في المتلقي وجعله في حالة من التتبع الدقيق لمعاني العبارة حتى يصل في النهاية إلى نتيجة حتمية يوقن بموجبها بصدق الجملة وحُجِّيَة مدلولاتها .

2-آليات الحجاج اللغوي عند ابن حزم :

يُقصَدُ بالآليات اللغوية تلك الرابطة اللغوية التي تجمع الأقوال في تساوقها داخليا دون النظر إلى ما هو خارجي قصد التأثير في المتلقي كما هو موضح في الفصل الأول حين تطرُقِنا إلى التداولية المدمجة مع **ديكرو** و**انسكومبر**.

يرى ديكرو وزميله أنسكومبر أننا نتكلم بقصد التأثير،وهذا التأثير والحمل على الإذعان والإقناع بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات ،إنما يحصل بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم[1] .ذلك أن اللغة بثرائها بالآليات الحجاجية والأدوات اللغوية قادرة على صنع الفارق وحمل المتلقي على التصديق بحَسبِ نوع الخطاب الواردة فيه .ونحن في تطرقنا لهذه الآليات والأدوات وتجلياتها في خطابات ابن حزم الأندلسي قررنا تقسيمها إلى* :

2-1 الروابـــط الحجاجية : تعتبر الروابط الحجاجية علامةً من علامات تمركز الحجاج وتموقعه داخل بنية اللغة نفسها . وإذا كانت الروابط الحجاجية متعددةً في مختلف اللغات ،فإن اللغة العربية تزخر هي الأخرى بعوامل نذكر منها (بل ، لكنَّ ، إذن لاسيما ، حتى ،لأن

[1]-ينظر : أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ،ص 14.

*-راعينا في تقسيمنا ما هو موجود داخل المدونة.

بما أن ....الخ)[2] ،والتي اكتفينا بتتبع بعضها في رسالة " **طوق الحمامة في الألفة والألاف** " مبينين وظيفة كل رابط حسب مقصديته والمقام الوارد فيه .

أ-الروابط المدرجة للحجج :

-**حتى :** يساعد الرابط الحجاجي "حتى" على "**تقوية إيقان المتقبل بالنتيجة**[2] حيث يعمل على ترتيب الحجج وتبيان قوتها ، وقد ورد هذا الرابط في كتابات ابن حزم في قوله في باب علامات الحب " **ومن علاماته أنك ترى المحب يحب أهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ونفسه ومن جميع خاصته** "[3] فعلامات الحب عند الكاتب متينة شديدة الوقع على المحب ، فتراه يحب كل من تعلقوا بالمحبوب ويفضلهم على أهله ونفسه وهذا ما أكده الرابط الحجاجي " حتى " ؛ حيث جاءت الحجج الواردة بعده أكثر قوة من الحجج التي سبقته وهذا ما نمثله بالسلم الحجاجي الآتي :

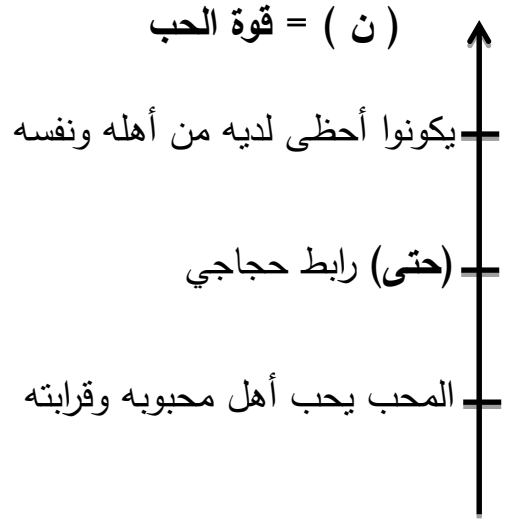

وللتأكيد على دور "**حتى**" كرابط يساهم في تساوق الحجج وتبيان قوتها نورد قولا آخر لابن حزم الأندلسي حيث يقول :

[2] -المرجع السابق، ص 55

[2]- عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 134

[3]-ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 24.

وَقَد أَبَاحَ اللَهُ فِي دِينِـــــهِ تَقِيَةَ المَأْسُـــورِ لِلآسِـرِ

وَقَد أَحَلَ الكُفرَ خَوفَ الرَدَى **حَتَى** تَرَى المُؤمِنَ كَالكَافِرِ [1]

ساهم الرابط الحجاجي "حتى" الوارد في البيت الشعري في التأكيد على أن حياة الإنسان أغلى من كل شيء .وقد كانت حجة ابن حزم في ذلك تسامح الله وإباحته للإنسان الكفر حفاظا على حياته فيصبح بذلك المؤمن كالكافر كنتيجة لمكانة حياة الإنسان عند الله والتي يمكن تمثيلها على النحو التالي :

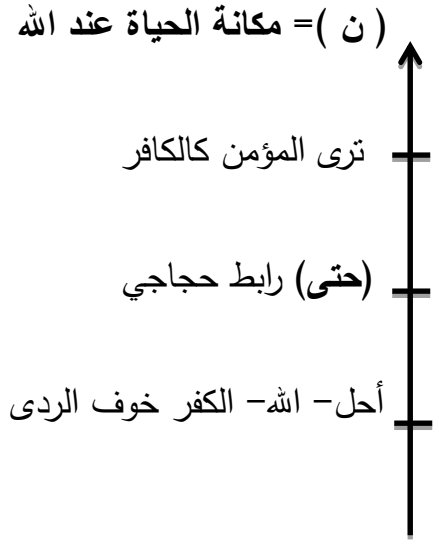

–**لكـنَّ** : يعتبر الرابط الحجاجي لكن من أكثر الروابط التي اهتم بها ديكرو ذلك لما له من قدرة حجاجية ونسقية تساهم في نجاعة الخطاب وتؤثر في متلقيه حيث أنها تجمع بين قضيتين متناقضتين فتستدرك النتيجة الأولى بنتيجة أخرى مغايرة لها ومعنى الاستدراك أن تنسب حكمها لاسمها، يُخَالف المحكوم عليه قبلها ،كأَنك لَما أخبرت عن الأول بخبر خِفتَ أن يتوهَم الثاني مثل ذلك ،فتداركت بخبره إنْ سلبًا وإن إيجابًا [2] ،ولتوضيح وظيفة هذا الرابط الحجاجي أكثر نورد قول ابن حزم الأندلسي وطريقة استعماله لهاته الأداة يقول:

[1]–المصدر نفسه، ص 114.

[2]–ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، ط1، بنغازي ، ليبيا 2003،ص509 .

أَرَى دَارَهَا فِي كُلِ حِينٍ وَسَاعَةٍ وَ**لَكِن** مَن فِي الدَارِ عَنِي مُغَيَبُ[1]

في هذا البيت الشعري نجد أن الرابط الحجاجي " لكن" جاء متوسطا بين قضيتين عارضت إحداهما الأخرى ، فصَدرُ البيت (أَرَى دَارَهَا فِي كُلِ حِينٍ وَسَاعَةٍ) ضُمِّن حجةً تمثلت في قرب دار المحبوبة من الشاعر مما يخيل الى المتلقي أن المحبوبة جانبت محبها وأنه يراها كل حين وساعة ،قبل أن يستدرك الشاعر بعجُزِ البيت (وَ**لَكِن** مَن فِي الدَارِ عَنِي مُغَيَبُ) والذي دحض به القضية الأولى وعارضها ، ولتوضيح هذه المسألة نصوغ الرسم الآتي :

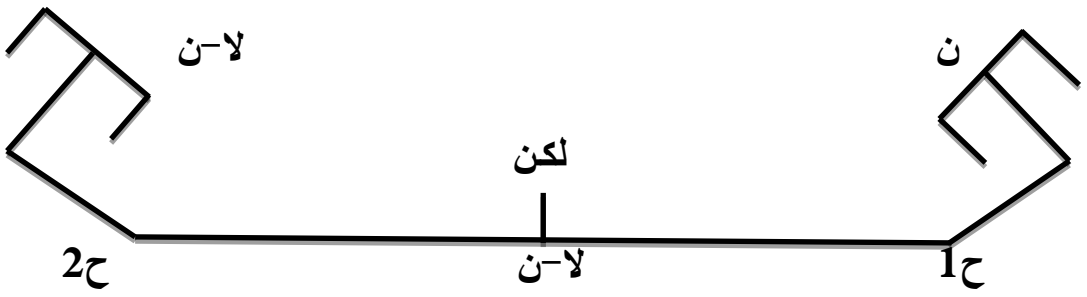

حيث : **حـ** = الحجة

ن = النتيجة

لا–ن = لا نتيجة أو النتيجة المضادة

= رمز يشير إلى العلاقة بين الحجج والنتيجة

لكن: الرابط الحجاجي[2].

فتكون بذلك وظيفة الرابط " لكن" في البيت الشعري كالتالي :

[1]–ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص 130.

[2]–ينظر: أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ،ص 59.

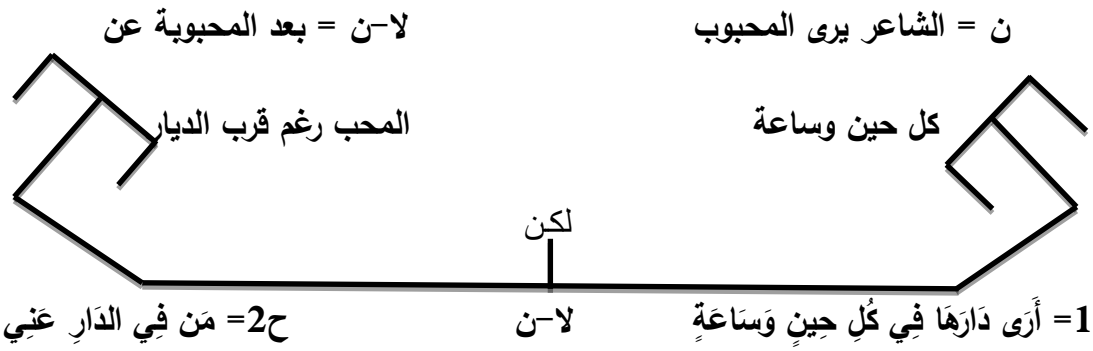

–**بـــــل** :أداةٌ تُرتب بها الحجج في السلم الحجاجي " **باعتبارها حرف إضراب وله حالين الأولى: أن يقع بعده جملة والثانية : أن يقع بعده مفرد ، فإن وقع بعده جملة كان إضرابا عما قبلها ، إما على جهة الإبطال وإما على جهة الترك للانتقال من غير إبطال ، وإذا وقع بعد بل مفرد فهي حرف عطف ، ومعناها الإضراب ، ولكن حالها فيه مختلف ، فإن كانت بعد نفي فهي لتقرير حكم الأول ، وجعل ضده لما بعدها**"[1] بمعنى أنها تتوسط الجملة لتأتي بين فعلين لغويين تُمكن من إنجازهما وترتيبهما حجاجيا إما بنفي الفعل الأول أو بتدعيمه بفعل ثاني يكون أقوى حجاجيا منه ، وهذا ما نوضحه بمقولة ابن حزم الأندلسي : " **وحدثت لي وجاهة وحال حسنة ، فحللت أنا تلك الناحية في بعض رحلتي فلم يوفني حقي بل ثَقُل* عليه مكاني وأساء معاملتي وصحبتي** " [3].

لقد جاءت بل في القول السابق لتنتقل بالحجج من الدرجة الدنيا (فلم يوفني حقي) إلى درجة أعلى (ثَقُل عليه مكاني وأساء معاملتي وصحبتي) للوصول إلى نتيجة كانت مضمرة مفادها عدم جُود صاحب الكاتب ونكران معرفتَهُ ،وهذا ما نمثله بالسلم الحجاجي الآتي :

[1]–عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،ص 515.

*–فعل ماض مبني للمجهول يعود على صديق ابن حزم .

[3]–ابن حزم الأندلسي ، ص 121

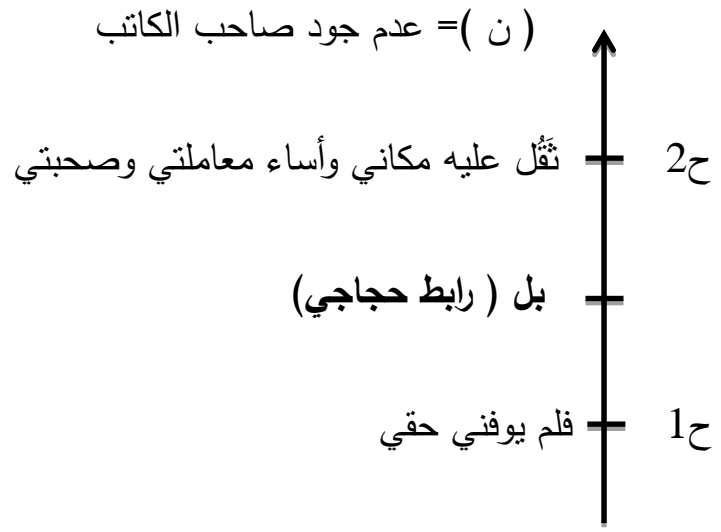

إن الملاحظ للسلم الحجاجي سيوقن أن (**بل**) في المقام السابق لم ترد لإبطال القضية بل لتدعيمها ، وهذا ما لا نجده في القول التالي حيث وردت لتنفي القضية الأولى وتعوضها بقضية ثانية ،يقول ابن حزم الأندلسي متحدثا عن الهجر : " **ثم هجر القِلى* وهنا ضلت الأشاطر ونفدت الحيل وعظم البلاء وهو الذي خلى العقول ذواهل فمن دُهي بهذه الداهية فليتصدَ لمحبوب محبوبه وليتعمد ما يعرف أنه يستحسنه ويجب أن يجتنب ما يدري أنه يكرهه فربما عطفه ذلك عليه إن كان المحبوب ممن يدري قدر الموافقة والرغبة فيه ،وأما من لم يعلم قدر هذا فلا طمع في استصرافه بل حسناتك عنده ذنوب** "[2] ولشرح المقولة ووظيفة الرابط الحجاجي ارتأينا أن نضيف الترسيمة الحجاجية الآتية:

*–القِلى وردت هنا بمعنى البُغض

[2]–المصدر السابق ، ص 115.

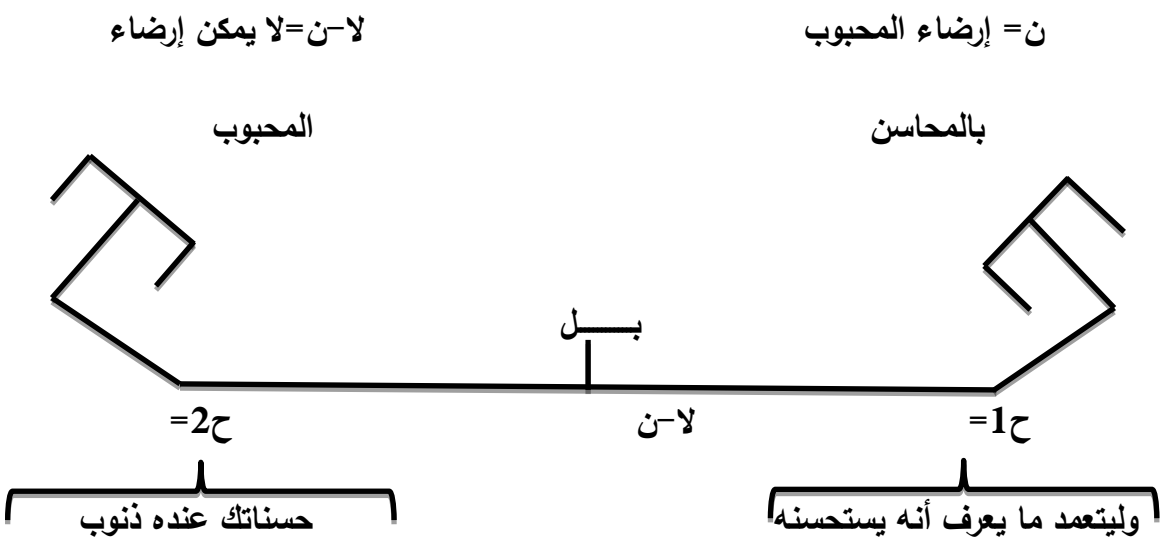

ويجب أن يجتنب ما يدري أنه يكرهه

الواو: يعتبر الرابط الحجاجي الواو من أكثر الروابط الحجاجية ورودا في رسالة " **طوق الحمامة في الألفة والألاف**" ، لما له من قدرة على الربط بين الحجج وفصل مواضعها بعضها عن بعض وتقوية كل حجة عن الأخرى في شكل نسقي يكون عموديا * عكس السلالم الحجاجية ،وهذا ما نؤكده بمقولة ابن حزم حين حديثة عن فضل الوفاء يقول : "**من حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق في الحب وغيره الوفاء**"[1] فاستعان بذلك الكاتب بحرف الواو للربط بين ثلاثة حجج تمثلت في : حميد الغرائز باعتبارها حجة أقل قوة من التي تأتي بعدها والمتمثلة في كرم الشيم لتأتي بعدها الحجة الثالثة والتي تعتبر أكثر قوة من سابقاتها وهذا ما توضحه صيغة المبالغة " **فاضل**" للوصول إلى النتيجة المرجوة وهذا ما نوضحه بالشكل التالي :

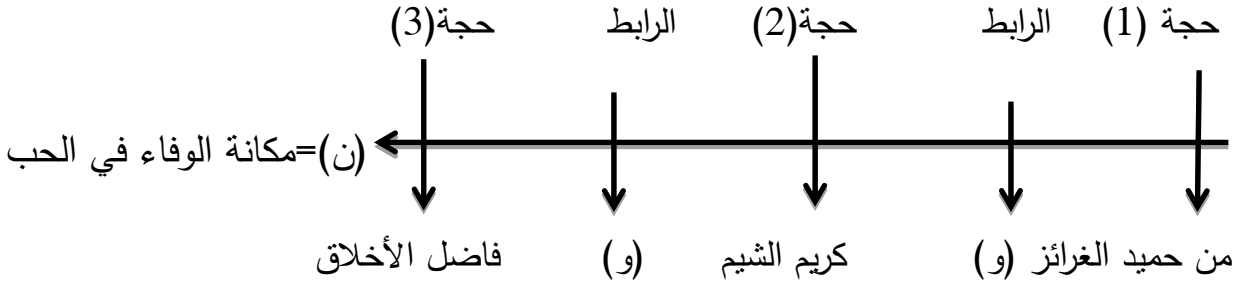

*-عموديا ارتبطت هنا بالسلم الحجاجي ولم تأت مستقلة بذاتها .

[1]-ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ،ص 119

ولتدعيم دور الواو في الربط بين الحجج وتساوقها نورد مثلا آخر ، يقول ابن حزم **يقع في الحب بعد هذا ، بعد حلول الثقة وتمام الاستئناس إرسال السفير** " والذي نوضحه كالتالي:

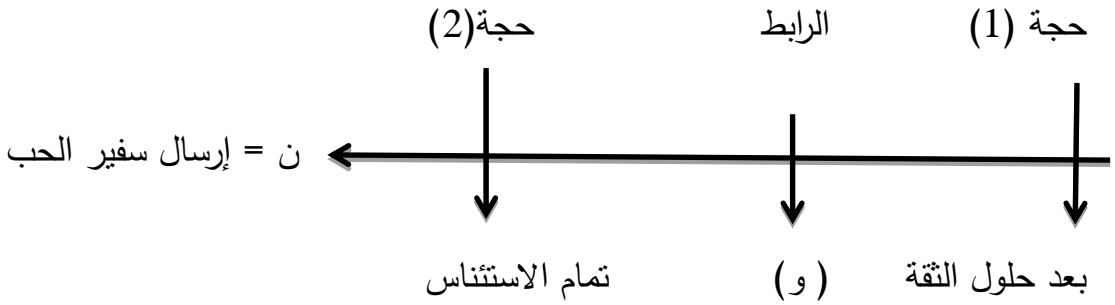

يتضح لنا من خلال الشكل أن ابن حزم ساق حجتين كانت الثانية فيهما أكثر قوة ودلالة من الأولى وهذا ما تُبَيِنُة لفظة " تمام " التي تدل على وصول الشيء الى قمته وقربه من النتيجة المرجوة منه .

ب–روابط التعليل :

–**كـي:** تعد ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي استعملها ابن حزم الأندلسي في رسالته لتبرير مسألة أو إقناع المرسل بسببٍ معين في مقام محدد . ومن هذه الألفاظ أو الروابط نجد" **كي**" الناصبة للفعل المضارع وذلك في قوله :

أَحَبُ شَيْءٍ إِلَيَ اللَومُ وَالعَذْلُ **كَيْ** أَسْمَعَ اسمَ الذِي ذِكْرَاهُ لِي أَمَلُ

ورد الرابط **كي** لتبرير فعل اللوم والعذل بحجة أتت بعده تمثلت في سماع ذكر المحبوب جراء ذلك اللوم والعتاب وهذا ما نمثله بالترسيمة التالية :

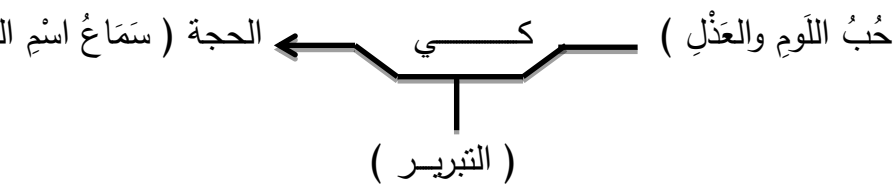

-**لأن** : تعتبر " لأَنَّ " من أهم ألفاظ التعليل ، فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه [1] ، كما أنها رابط تبريري لفعل معين أو مجموعة من الأفعال مثل ما نجده في قول ابن حزم : " **ما رأيت امرأة كشفت سر متحابين إلا وهي ممقوتة مستثقلة مرمية عن قوس واحدة وإنه ليوجد عند العجائز ما لا يوجد عند الفتيات لأن الفتيات منهن كشفن ما علمن على سبيل التغاير** " [2] .

صاغ ابن حزم في قوله هذا مجموعة من الحجج تؤكد عدم كشف النساء لأسرار المتحابين بيد أنه استثنى منهم الفتيات الصغيرات السن وبرر ذلك بأنهنَّ إن كشفن سرا من الأسرار فلغيرتِهنَّ مستعملا الرابط الحجاجي لأن .

2-2-العوامل الحجاجية: تكون العوامل الحجاجية داخل بنية الخطاب كما أسلفنا ذكره في الفصل الأول ؛ أي أن مجال اشتغالها ليس ربط مجموعة من المتغيرات الحجاجية (حجة نتيجة) ، ولكنها تقوم "**بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما ، وتظم مقولة العوامل أدوات من قبيل : ربما ، تقريبا ، كاد ، قليلا كثيرا ، (ما..إلا) وجل أدوات القصر**"[3] وهذا ما سنحاول تقصيه في رسالة طوق الحمامة في الألفة والألاف.

أ-**العامل الحجاجي (إنما)** : من أدوات القصر نحو قولنا :إنما أنت بطل فقصرنا البطولة عليك فأنت مقصور[4] ، كما أنه عامل حجاجي يعمل عمل (ما..إلا) ذلك أننا

[1]-ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،ص 478

[2]-ابن حزم الأندلسي،طوق الحمامة ، ص 79

[3]-حمو النقاري ، التحاجج طبيعته ومجالاته وظائفه ، ص 64 .

[4]- ينظر:محمد ألتنوخي ، الجامع في علوم البلاغة ، دار العزة والكرامة للكتاب ، ط1، الجزائر ، 2013 ، ص 101.

لو بدلنا إنما ا في المثال السابق لاستقر على النحو التالي :**ما أنت إلا بطل** * .

ورد العامل الحجاجي (إِنَّمَا) في رسالة طوق الحمامة في قول ابن حزم الأندلسي " **ومن هذا دخَل الغَلَطُ على من يزعم أنه يحب اثنين ويعشق شخصين متغايرين فإنَّما هذا من جهة الشهوة** "[1] حيث قصر ابن حزم الأندلسي حب شخصين مختلفين على الشهوة وكان إثباته لدعواه باستعمال العامل الحجاجي (إِنَّمَا) .

كما نجد أنه استعمله في موضع آخر وذلك في قوله : " **أما المحبة فخِلقَةٌ وإنما يملك الإنسان حركات جوارحه**" [2] ، فقَصَرَ ملك الإنسان لحركات جوارحه مستعملا في ذلك العامل الحجاجي إِنَّمَا الذي لم تقتصر وظيفته في هذا المقام على القَصْرِ بل كانت حجاجية كذلك حيث أراد ابن حزم أن يخبر المتلقي أن الإنسان هو المسؤول عن غض بصره لأن حركة العين ملكه هو وحده فاستعمل القصر وسيلة لذلك .

ب-العامل الحجاجي : (ما....إلا): من العوامل الحجاجية التي توجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض وتساهم في ترتيب الحجج داخل السلم الحجاجي الواحد [3] ،قصد إقناع المتلقي وحمله على الإذعان .

كما يعتبر العامل (ما ....إلا) من أساليب القصر في اللغة العربية وغرضه التخصيص ، والذي دل على التخصيص والقصر مجيء "ما" النافية في أول الكلام وأداة الاستثناء إلا قبل المقصور عليه وهذا ما ندعمه بمقولة ابن حزم في باب قبح المعصية يقول: " **وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب وطال ذلك ولم يكن ثمَّ مانعٌ إلا وقع في شرك الشيطان واستهوته المعاصي** " يعني أنه إذا وقع الحب بين رجل (مقصور) وامرأة واستطال زمنه ولم يكن هناك مانع يمنعهما من إطالة هذا الحب إلا (أداة استثناء) وَوَقَعَا في المعصية وكَيْدِ الشيطان (مقصور له) ولتوضيح وظيفة هذا العامل ودورة الحجاجي نضع السلم الحجاجي التالي :

---

* -يعمل العامل الحجاجي عمل (ما...إلا) في جمل محددة فقط .

[1] -ابن حزم ألأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 39

[2] -المصدر نفسه ، ص 58.

[3] -ينظر: أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، ص56 .

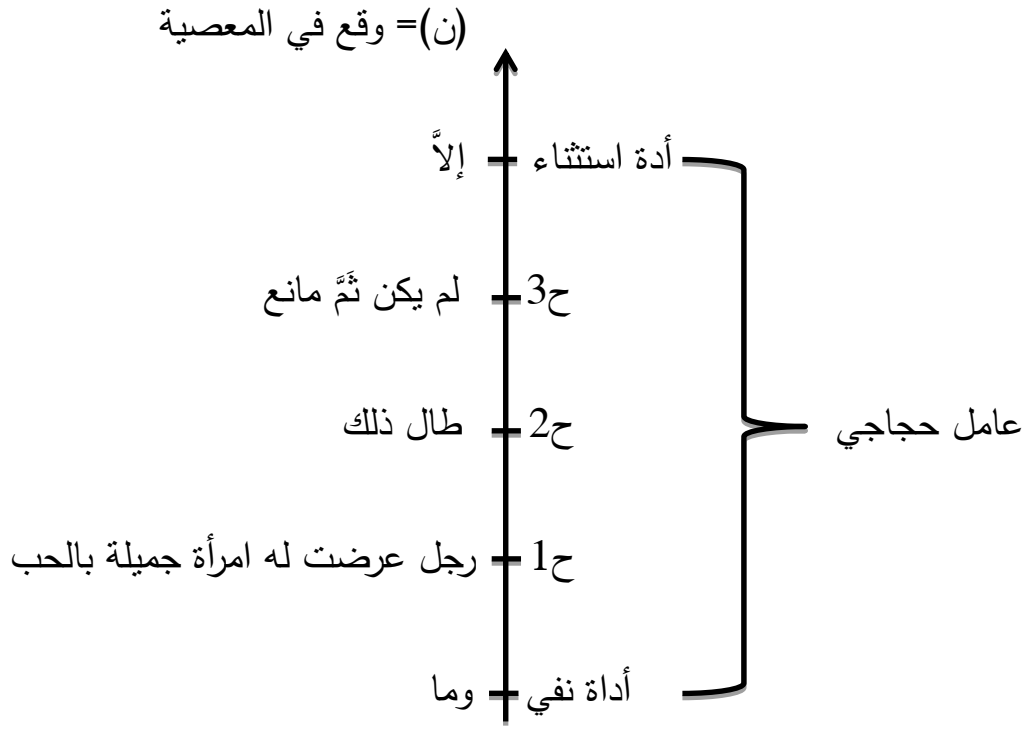

من خلال الترسيمة الحجاجية نستنتج أن العامل الحجاجي (ما...إلا) ساهم في ترتيب الحجج في السلم الحجاجي وحمل المتلقي على الإذعان والتسليم بالنتيجة المرجوة.

جـ-العامل الحجاجي : (لا....إلا): أداة قصر تعمل عمل (ما..إلا) ، كما أن لها وظيفة حجاجية ، كان ورودها في رسالة طوق الحمامة في مواضع محددة فقط كقول ابن حزم: "**وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له وهذا فرض لازم وحق واجب على المحب والمحبوب ولا يحول عنه إلا خبيث** "[1]، حيث وردت هنا لتؤكد مكانة الوفاء ومرتبته العالية في الحب .

من خلال كل ما سبق يتضح لنا أن ابن حزم الأندلسي مازج في رسالته "طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاَّف" بين أنواع عديدة من الحجج ، فاستعان بالحجج البلاغية لتدعيم آرائه المختلفة من جهة ، ولإقناع المتلقي من جهة أخرى ، كون جل الحجج البلاغية قائمة على بعض

[1]-ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص119 .

من المنطق من جهة ومستندة الى الواقع من جهة أخرى ، وهما في نظرنا عاملين يساعدان في نجاح العملية الحجاجية ويمكنان الكاتب من الوصول إلى مقاصده ، أما الحجاج اللغوي فقد مكن ابن حزم من ربط الأقوال حجاجيا كما ساهم في تساوق الحجج ودعم تراتبيتها حتى يُحمل المتلقي أو المرسَل إليه على التيقن والإذعان .

خاتمـــــة

بعد رحلتنا القصيرة هاته في ميدان النظرية الحجاجية ، خلصنا- بفضل الله وعونه- إلى عدة نتائج نجملها في :

- مصطلح الحجاج مصطلح متغير لا يثبت على تعريف لغوي واحد ، فيعرف بأنه الخصام حينا ، والغلبة بالحجة حينا آخر ، وبالبرهان في آحايين أخرى ، أما في الاصطلاح فوجدنا أنه متعلق بالخطاب وبنيته عند فريق من الباحثين والسياق الخطابي التداولي عند فريق آخر ، والجامع بين الفريقين هو غاية الحجاج التأثيرية وهدفه الإقناعي التبليغي.
- وجدنا في الفكر اليوناني القديم أن الحجاج عند "**السفسطائيين**" ارتبط بالمخاتلة والمخادعة ، بينما ارتبط عند " **أفلاطون**" و " أرسطو" خاصة بالبرهان والخطابة .
- من خلال بحثنا عن معاني الحجاج في القرآن الكريم لاحظنا أنه ورد بمعاني تحمل معنى الجدال والخصام والبرهان ، وهذا راجع في رأينا إلى أسباب النزول ، وارتباط كل معنى بالسياق الذي ورد فيه .
- كما لاحظنا في الدرس العربي القديم أن الحجاج تجلى في مجموع الاستراتيجيات التأثيرية التي يعمد إليها المرسِل حتى يحمل المتلقي على الفهم والبيان ، وهذا ما استقيناه عند تتبعنا لجهود " **الجاحظ** " في ميدان الدرس الحجاجي العربي القديم ، وجهود حازم القرطاجني في حديثه عن الإقناع والتمويه والاستدراج .
- وجدنا أن الفلاسفة المسلمين لم يكونوا بمنأى عن الحجاج ، بل كان سندهم ووسيلتهم التي اتخذوها في الدفاع عن أطروحاتهم الكلامية فربطه " **الفارابي** " بالفلسفة ومتاهتها وعقله " **ابن حزم** " بالدين وقدسيته .

رصد الفصل الأول من البحث أهم المحطات التي مرت بها النظرية الحجاجية عند الغرب ، فتناولنا جهود " **بيرلمان** " و" **تيتكاه** " ومزجهما بين ما هو فلسفي وما هو بلاغي في إطار عقلي ، اهتم بالمخاطَب والجمهور قَدرَ اهتمامه بالخطاب في حد ذاته ، فكانت تقسيماتهم للحجج مُوازِنة بين الخِطَابِ ودقته والسياق أو المقام الذي ورد فيه.

- خلصنا إلى أن " **ميشال ماييـر**" في نظرية المساءلة مازج بين البلاغة ومجازها وبين السياقات الخِطَابية التي تفرض على المتحاورين استعمال الحجة في إطار تبادلي بين المرسل والمتلقي .
- أما الحجاج عند " **تولمين** " فوجدنا أنه جعل المنطق رداءً له ، وكان العقل بمثابة المعيار الوحيد الذي يحدد قيمة الحجة وضمان فعاليتها .
- تعلق الحجاج عند " **ديكرو**" و" **انسكومبر**" بجوهر اللغة نفسها ، بصرف النظر عن مقامات استعمالها وآليات اشتغالها ، فكل خطاب وكل لغة عند " **ديكرو**" هي حجاج لابد من دراسته والبحث فيه .

في الفصل الثاني كان تتبعنا للحجاج عند " **ابن حزم الأندلسي** " في رسالة " **طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاَّف**" ثريًا في نظرنا ثراء المدونة التي استنطقنا بعض الحجج المستعملة فيها وحاولنا بما تَوفَرَ لنا من آليات أن نكشف عن ماهية استعمالها وغاية "**ابن حزم**" من ذلك الاستعمال فوجدنا أن الكاتب استعمل الآليات البلاغية من حجج شبه منطقية ليؤكد تمسكه بطابعه الحجاجي وباستدلاله المنطقي حتى يحمل المتلقي على الاذعان .

- كما رأينا أن الكاتب اتخذ التشبيه والاستعارة والرمز والشاهد أدوات بلاغية تؤثر في مقصدية الخطاب وتوجهه وجهة إقناعية ، تجعل المرسل يذعن بمحتواه ويسلم بآراء صاحبه .

فالتشبيه كما رأيناه في المدونة ، لم يرد لغاية جمالية ، قدر وروده لغاية إقناعية وهذا ما أتت الاستعارة الحجاجية لتؤكده بعد ذلك .

- أما الآليات اللغوية التي استعملها "**ابن حزم الأندلسي**" كمظاهر حجاجية ساهمت في تساوق الحجج وتراتبيتها ، فوجدنا أن الروابط الحجاجية لعبت دورا بارزا في تبيان متانة الحجج وتصاعدية قوتها ، وهذا ما مثلنا له بمجموع السلالم الحجاجية التي كانت بمثابة

الدعائم التي تدعم رأي الكاتب وتبين السبل التي توخاها في ترتيب الحجج من الحجة الأقل قوة إلى الحجة الأكثر تأثيرا في المتلقي .

-لعبت العوامل الحجاجية كذلك دورا مهما في العملية االحجاجية ، حيث بينت دقة أسلوب الكاتب ، وحملت قيمة حجاجية ذات تأثير بارز في ذهن المتلقي .

وفي الختام نؤكد أن النتائج التي توصلنا إليها هي ربما نقطة من بحر ، نقطة من قليل علمنا وقلة زادنا أمام كاتب وفيلسوف مسلم كانت جهوده ومازالت محل درس وتمحيص من طرف باحثين لديهم من الزاد العلمي أضعاف ما لدينا ، ولربما مكنتنا الظروف مستقبلا من محاولة مراجعة أنفسنا وإخراج هذا البحث في حلةٍ أفضل من هاته الحلة والله من وراء القصد .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1-ابن حزم الأندلسي ، الإحكام في أصول الأحكام ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار الآفاق الجديدة ، ط2، بيروت لبنان 1983.

2-ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، موفم للنشر ، د ط ، الجزائر 1988 ,

3-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،البيان والتبيين ،تح: فوزي عطوي ، دار صعب ، د ط ، بيروت ، لبنان ، د ت.

4-أبو نصر الفارابي ، كتاب البرهان ،موفم للنشر ، د ط، الجزائر ، 1993 .-

5-أرسطوطاليس ، كتاب الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، د ط ، بيروت ، لبنان 1979.

6-جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي،تفسير الجلالين ، دار الحدث ، القاهرة ، مصر، ط3 2010.

7-حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح :محمد الحبيب ابن الخوجة ،دار الغرب الإسلامي، ط3 ،بيروت لبنان ،1986.

8-الشريف الجرجاني ،كتاب التعريفات ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، بيروت ، لبنان ،2005.

9-عبد الرحمن الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،تح: عمار الطالبي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ،د ط 2007 .

10-عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تح : محمود محمد شاكر ، دار المدني للنشر ، د ط جدة ، د ت.

11-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، د ط ، تونس 1984.

12-محمد القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،تح: عبد الرزاق المهدي ،دار الكتاب العربي، د ط، ،بيروت ،لبنان2007.

-ثانيا: المراجع :

1-أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، ط1 ، المغرب ، 2006.

2-أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، العمدة للطباعة والنشر ، ط1 ،الدار البيضاء ، المغرب 2006.

3-أحمد أمين وزكي نجيب محمود : قصة الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط5 ،القاهرة ،مصر ،1964.

4-حمادي صمود ، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ، منشورات كلية الآداب منوبة ، 1998 .

5-حمو النقاري ، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ط1 ، الرباط ، 2006.

6-خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية بيت الحكمة ، ط1 ، الجزائر 2012.

7-خليفة بوجادي ،في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ،بيت الحكمة ، ط 2، الجزائر 2012 .

8-رمضان عبد المحسن إسماعيل ، القاموس الشامل إنجليزي-عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 ، القاهرة مصر 2006.

9-الزاوي بغورة ، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ، دار الطليعة ، ط 1 بيروت ،لبنان ، 2005

10-سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم -من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنياته وأساليبه ، عالم الكتب الحديث ، ط1 عمان ،الأردن ، 2001 .

11-صابر الحباشة ، التداولية والحجاج -مداخل ونصوص- ،صفحات للدراسة والنشر ، ط1 دمشق ، سوريا ،2008.

12-طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 بيروت لبنان ، 1998.

13-عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، منشورات كلية الآداب والإنسانيات ، ط1، تونس ، 2001.

14-عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، ط1، بنغازي ، ليبيا 2003.

15-عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، مكتبة علاء الدين ، ط 1 ، صفاقس ، 2011 .

16-عزمي بشارة ، الدين والعلمانية في سياق تاريخي ، الركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط1 بيروت ، لبنان ،2013.

17-عمر بلخير ، مقدمات في الحجاج والنص ، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ، د ط ،تيزي وزو، الجزائر ،2001.

18-محمد أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، دار الفكر العربي ، ط1،القاهرة ، مصر ،1980.

19-محمد ألتنوخي ، الجامع في علوم البلاغة ، دار العزة والكرامة للكتاب ، ط1، الجزائر ، 2013 .

20-محمد آيت حمو ، فضاءات الفكر في الغرب الإسلامي ،دراسات ومراجعات نقدية للكلام منشورات الاختلاف ، د ط ، الجزائر ، 2011.

21-محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط1،ليبيا ، 2008.

22-محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، د ط الإسكندرية ، مصر 2002.

ثالثا: المعاجم :

1-ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ط1،بيروت ،لبنان ، 1997، مج 2،ص 28.

2-الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، تح : محمد نعيم العرقسوسي ، الرسالة للنشر والتوزيع ط8 ، بيروت ، لبنان 2005.

3- رمضان عبد المحسن إسماعيل ، القاموس الشامل إنجليزي-عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 ، القاهرة مصر 2006 ، ص 51 .

4-مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط1 ،القاهرة ، 1961 .

-رابعا: المراجع الأجنبية المترجمة :

1-آن روبول وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، تر : سيف الدين دغموس دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط ، بيروت لبنان ، 2003 .

2-فرانسوا مورو ، البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، تر: محمد الولي و عائشة جرير أفريقيا الشرق ، ط2 المغرب ، 2003.

3-فيليب بروتون وجيل جوتيه ، تاريخ نظريات الحجاج ، تر : محمد صالح ناحي الغامدي مركز النشر العلمي ، جامعة الملك عبد العزيز ، ط 1 ، جدة ،2011 ،ص 42 .

خامسا:المراجع الأجنبية :

1-Petit Robert, Dictionnaire de la langue français, 1er réduction, paris, 1990 , P : 99

سادسا : الكتب الإلكترونية:

1- جميل حمداوي ، نظريات الحجاج www.alukah.net

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمـــــــة 1
مدخــل الأصول التاريخية للحجاج 4
1-تعريف الحجاج 5
- الحجاج لغة : 5
- الحجاج اصطلاحا: 6
2-الحجاج في التراثين الغربي والعربي: 8
أ-في التراث الغربي: 8
-الحجاج عند السفسطائيين : 8
- الحجاج عند أفلاطون : 10
-الحجاج عند أرسطو: 12
ب-الحجاج في الثقافة العربية: 13
-الحجاج في القرآن الكريم : 14
-الحجاج في السيرة النبوية: 15
-الحجاج في البلاغة العربية: 17
-الحجاج في الفلسفة الإسلامية 19
الفصل الأول: الأصول التاريخية للحجاج 22
1-الخطاب الحجاجي: 23
2-الحجاج في البلاغة الجديدة : 25
3-نظرية المساءلة لميشال مايير: 35
4-الحجاج من منظور منطقي : 37

5-الحجاج من منظور لغوي : 40

أ-نظرية أفعال الكلام 40

ب-التداولية المدمجة: 45

جـ-السلالم الحجاجية: 46

6-الحجاج في الدرس العربي المعاصر: 50

-الحجاج عند طه عبد الرحمن: 50

الفصل الثاني: الآليات الحجاجية في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف 52

1-بلاغة الحجاج في كتاب طوق الحمامة : 53

1-1 الحجج الشبه منطقية : 53

أ- التنافر أو التناقــض : 53

ب- التماثل : 55

جـ- التعديـــــــــــــة: 55

2-1 : الحجج المؤسسة على بنية الواقع : 57

أ-التتابـــــع : 57

ب-الغائيـــــــــــة : 58

جـ-التعايش : 60

3-1 :الحجج المؤسسة لبنية الواقع : 62

1-3-1-الحجج المُبَنيِنَة للواقع التي تعتمد الحالات الخاصة : 62

1-3-2-الحجج المبنينة للواقع التي تعتمد التمثيل : 64

2-آليات الحجاج اللغوي عند ابن حزم : 68

2-1 الروابـــــط الحجاجية : 68

أ-الروابط المدرجة للحجج : 69

ب-روابط التعليل : 75

2-2-العوامل الحجاجية: 76

خاتمـــــــة 80

قائمة المصادر والمراجع 84